يوسف خليفة الشريدة

قميص يوسف

قراءات اجتماعية معاصرة

الطبعة الأولى

الطبعة الإلكترونية

(منقّحة ومزيّدة)

أعدها: محمد بن مبارك الشملان

١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م

ⓒ يوسف بن خليفة بن صالح الشريدة، ١٤٣٦هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشريدة ، يوسف بن خليفة بن صالح

قميص يوسف، قراءات اجتماعية معاصرة.
يوسف بن خليفة بن صالح الشريدة - الأحساء، ١٤٣٦هـ

٣٠٩ ص، ٢١ سم×١٤,٨ سم.

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠١-٩٠٧٣-٧

١. المقالات العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي: ٠٨١,٩٥٣١ ١٤٣٦/٨٣٠٥

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٨٣٠٥
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠١-٩٠٧٣-٧

اسم الكتاب: قميص يوسف.

المؤلف: يوسف خليفة الشريدة.

الناشر: مركز تبارك لرعاية الإبداع وتكريم الإنجاز.

رقم الإصدار: ٣٤.

للتواصل مع المؤلف : weswasy77@gmail.com

للتواصل مع المركز: markaz.tabarak@gmail.com.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب تمثل رأي المؤلف ولا تمثل بالضرورة رأي الناشر

| تمهيد |

ارتبط اسمي في أذهان الكثيرين بالمنتديات الحوارية الإلكترونية، والتي نشطت في العقد الأوّل من القرن الحادي والعشرين الميلادي، فقد كانت بوابة انطلاقتي للتواصل الكتابي مع الآخرين، ونتج عنها نشري لكتابي الأول أنا وسواسي) عام ٢٠٠٦م، ولاحقاً نشري لمدونتي الإلكترونية الخاصة بي عام ٢٠٠٨م، والتي جمعتُ فيها كتاباتي الذاتية السابقة واللاحقة، وكانت مقدمةً لهذا الكتاب.

فقد وجدتني أمام تشجيع بعض المتابعين لي بأن يروا موضوعاتها في هيئة كتاب مطبوع، وهو ما حفزني كثيراً لإتمامه، وقد استحضرتُ قول الإمام علي عليه السلام: «مَن ظنَّ بكَ خيراً، فصدّق ظنه»، فكنت أمام استحقاق حسن ظنهم بي، فعكفتُ على مراجعة كتاباتي في العناوين المختلفة، واخترت بعضها لأكمّل بها عقد هذا الكتاب.

واخترت للكتاب اسم: **قميص يوسف**، وذلك أنه الاسم الذي اخترته كمعرّف لي في المنتديات الحوارية الإلكترونية سابقاً، وعُرفت به. وأيضاً للدلالات الكثيرة التي تحضر مع هذا المسمّى، والتي منها أن موضوعاتي ذات الطبيعة الاجتماعية عادة؛ لا تخلو من وسائل وبيّنات يُسترشد بها في كشف الأخطاء وملابساتها، واقتراح الحلول ومقوّماتها، وهو الدور الذي استعمِلَ فيه قميص نبي الله يوسف عليه السلام.

وتجدر الإشارة هنا، أن القناعات المنشورة في الموضوعات، لا يمكن فصلها عن توقيت نشرها الأصلي، فهي توثق آرائي في حينها، ولاحقاً ربما بعضها تعزّزت قناعتي بها وتجذّرت، أو ضعفتْ وانحسرتْ حماستي لها نسبياً، فقد كنت أرصد في كثير منها تجاذبات النفس البشرية المعقّدة وصراعها مع ما تأمله وتسعى له من جهة، ومع ما تحذره وتجتهد لحماية نفسها منه من جهة أخرى.

الموضوعات المنشورة في هذا الكتاب على ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول**: موضوعات كتبتها بالأساس كمقالات مستقلة.
- **القسم الثاني**: موضوعات اضطررت لإعادة ترتيبها وتنظيم أفكارها، فقد كانت ضمن مشاركاتي في المنتديات الحوارية أو مراسلات بريدي الإلكتروني، والتي يحصل فيها التعقيب على مداخلات الآخرين أو استفساراتهم، وحرصت على توثيق بعضها في وسط الموضوعات، وذلك ليكون القارئ في صورة كاملة لما يقرأه من ردود مني.
- **القسم الثالث**: منشورات قصيرة، وكانت جزءً من تفاعلي مع برامج التواصل الاجتماعي التي نشطت في الأعوام القليلة الماضية.

عزائي في كتاباتي، أني دعوتُ فيها لمعروفٍ أو حذّرت فيها من منكر أو نبّهت لقيمةٍ بحسب ما بلغني من فهمٍ حينها، واجتهدت في تقديم ذلك للآخرين إمعاناً مني في تسجيل حضوري بينهم، ورغبة متقدمة مني في مشاركتهم آرائي بلغة مسؤولة كلها احترام لهم.

يوسف خليفة الشريدة
الأحساء ـ الطرف
٧ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ
٢٧ يناير ٢٠١٥م

| المحتويات |

تمهيد	: ٤
المحتويات	: ٦
| 1 | : خفة الظل	: ١٠
| 2 | : الانتحار	: ١٤
| 3 | : قصة أبي	: ١٧
| 4 | : معاً ضد الإرهاب	: ٢١
| 5 | : الطائفية في الوطن غربة	: ٢٩
| 6 | : أبنائي في عهدتكم أيضاً	: ٣١
| 7 | : لنتعارف ونتسابق بنبلٍ	: ٣٣
| 8 | : فوضى الأسئلة	: ٣٦
| 9 | : الوحدة الإسلامية	: ٣٨
| 10 | : شبابنا والسكن	: ٤٠
| 11 | : المتعة الجنسية السياحية	: ٤٤
| 12 | : نحتاجك بيننا	: ٤٩
| 13 | : لا تمنعوا الماء	: ٥١
| 14 | : رسائل ليلة القدر	: ٥٢
| 15 | : حافظ على حياتك أولاً	: ٥٣
| 16 | : تربيتنا مرجعية لأبنائنا	: ٥٤
| 17 | : الرياء	: ٥٦
| 18 | : اليأس والإحباط	: ٥٧

| 19 | : الوسواس الشيطاني : ٦٤
| 20 | : النكاح رّق : ٧٠
| 21 | : أنصار التعدد : ٩٠
| 22 | : الصبر على العنوسة : ١٠٣
| 23 | : من خدعنا، انخدعنا له : ١٠٩
| 24 | : رفقاً بعقولنا : ١١٣
| 25 | : ترويج المنكرات : ١١٥
| 26 | : أخلاقيات التغيير النبوي : ١١٧
| 27 | : فشخرة القرقيعان : ١٢٥
| 28 | : الهدايا الملغومة : ١٢٩
| 29 | : ورقة وقلم : ١٣١
| 30 | : الوعي : ١٣٣
| 31 | : الأنانية : ١٣٥
| 32 | : الاغترار : ١٣٩
| 33 | : المستجدون في حياتي : ١٤٢
| 34 | : المواقف الإنسانية فرصتك : ١٤٣
| 35 | : ابدئي المواجهة : ١٥٠
| 36 | : الناس منه في راحة : ١٥١
| 37 | : كن واقعياً : ١٥٤
| 38 | : الماضي : ١٥٥
| 39 | : المُستفّز : ١٥٦
| 40 | : المقالب : ١٦٠
| 41 | : الأخطاء الأسرية الكبرى : ١٦٢
| 42 | : الأخطاء لا تأتي فرادى : ١٦٥
| 43 | : التحامل : ١٦٧

| 44 | : التغافل عن الزلات : ١٦٩
| 45 | : الرقابة الإيجابية : ١٧٠
| 46 | : الدلع النسائي : ١٧١
| 47 | : سبب أخطائي : ١٧٢
| 48 | : لم يصفح عني : ١٧٣
| 49 | : ما ذنب هذه الطفلة وأمثالها؟ : ١٧٨
| 50 | : الشك : ١٨١
| 51 | : الإصلاح : ١٨٧
| 52 | : سلوك الأبناء : ١٨٩
| 53 | : فتنة المرأة بجمالها : ١٩١
| 54 | : انحراف أحد الزوجين : ١٩٢
| 55 | : كالحمار يحمل أسفاراً : ١٩٣
| 56 | : هل الناصح متناقض؟ : ١٩٤
| 57 | : حب المرأة للرجل : ١٩٩
| 58 | : حب من نوع آخر : ٢٠١
| 59 | : الزواج من علاقات الإنترنت : ٢٠٣
| 60 | : حال المخطئين : ٢٠٤
| 61 | : الفجور في الخصومة : ٢٠٥
| 62 | : مسكين ابن آدم : ٢٠٦
| 63 | : انفعالات المرأة اللفظية : ٢٠٧
| 64 | : المرأة وشهامة الرجل : ٢٠٨
| 65 | : تكامل وليس تزاحم : ٢١٠
| 66 | : اقتراض الغرباء : ٢١٢
| 67 | : قرض أم سرقة : ٢١٥
| 68 | : خداع النفس : ٢١٨

| 69 | : لا تخدع مرتين : ٢١٩
| 70 | : المعاشرة الجنسية الزوجية : ٢٢١
| 71 | : ذوبان الفروق بين الأسر : ٢٢٢
| 72 | : المرأة وأسى الحب : ٢٢٤
| 73 | : الزواج الجماعي : ٢٢٦
| 74 | : هل نحن استثناء؟ : ٢٢٨
| 75 | : أمهاتنا : ٢٣٠
| 76 | : الناصح : ٢٣١
| 77 | : المحيط : ٢٣٢
| 78 | : أدب الخلاف : ٢٣٣
| 79 | : رسالتان : ٢٣٥
| 80 | : متى نغفر؟ : ٢٣٧
| 81 | : اصنعي التغيير : ٢٣٨
| 82 | : صدمة الحب : ٢٣٩
| 83 | : تلوين الشخصيات : ٢٤٠
| 84 | : جفاف عاطفي : ٢٤١
| 85 | : الطيبة الخادعة : ٢٤٣
| 86 | : وبالوالدين إحسانا : ٢٤٥
| 87 | : سراب : ٢٤٦
| 88 | : المقدمات : ٢٤٨

| خفة الظل |

1

أن يكون أحدهم خفيف الظل، وصاحب طلة كلها بسمة، بل مهرجاناً من الضحكات ترافق حضوره أينما حل؛ هو أمر محبب، بل مطلوب عند كل الجلساء، فهم يأنسون بانفعالاته اللفظية والحركية التي تتسم بالغرابة اللذيذة، وهو ما يشرح الصدور لصاحبها في أوساطهم.

ولكن ماذا يتخلل تلك الانفعالات؟!

هل يحصل فيها تجاوزات تمس حقوق الآخرين؟

أين تقف تلك التجاوزات إن حصلت؟

هل صحيح أن بعضها لا يمكن تحمله ويتخطى المعقول، ويحتاج وقفة لمواجهته والحد من تعاظمه؟

كيف يمكن مقابلة التجاوزات التي مصدرها هكذا شخصيات؟!

هذه الأسئلة وغيرها، أضحت ملحة عند مَن يُعانون من بعض تلك التجاوزات بواسطة بعض جلسائهم، وخاصة أولئك الذين لا مناص من الاحتكاك بهم كزملاء العمل أو بعض الأقارب في محيطهم الأسري أو جلساء الأصدقاء المقربين، والذين يصعب تجنبهم.

بعضنا صار يرفع صوته وجعاً مِمّا يطاله من لسان بعض تلك الشخصيات وتقريراتهم لخصوصياته، فأولئك المتظلّمون يُعانون من صعوبة التعاطي مع أولئك المتجاوزين، وذلك لأسباب منها:

١. عدم تحمس الآخرين لنصرة المتظلِّم، بحجة أن كل ما يصدر عن هكذا نوع من الشخصيات يندرج ضمن المزاح المعتاد عليه من أمثالهم، بل ينقلب الأمر على المتظلِّم حين يلومه الآخرون لتحسُّسِّه من هكذا مواقف، وأن المتوقع منه تقبلها بصدر رحب وعدم التدقيق فيها.

٢. حضور السلطة الشخصية لهكذا شخصيات على مخالطيهم، فهكذا شخصيات تحظى بتأثير ملموس يجعلها في موقع المراعاة والعذر دائماً، وإن كان على حساب الآخرين.

٣. يُقبل منها ما لا يُقبل من غيرها عادة، إذ يُسمح لهكذا شخصيات باستخدام كل الألفاظ السوقية والتعابير الدونية الجنسية وغيرها.

وقد بلغ الأمر في بعض الأحيان إلى تهرب الكثيرين من مواجهة هكذا شخصيات بأخطائهم، وإن كان في بعضها تجاهر صريح بالفجور والعلاقات المحرمة في مجتمعهم نفسه.

وكذا الأمر مع تطاولهم على المقدسات الدينية لو حصل، وكما لو أن (خفة الظل) التي يتمتعون بها تسوّغ لهم ارتكاب أية خطيئة، وتوفر لهم حصانة

من المحاسبة، وإن طالت تلك الأخطاء (الأعراض والمقدسات)، فلا يلومهم أحد من مخالطيهم، بل يطلبون ودهم ومجالستهم للاستمتاع بانفعالاتهم وتصريحاتهم المضحكة.

يبلغ الأمر عند بعضهم، وبحجة المزاح، إلى امتهان أخلاقيات سيئة جداً، ومنها الافتراء والتجني والمس بالخصوصيات، بل يصل الأمر لاستغلال موهبتهم الذاتية تلك في التصيّد لعثراتِ الآخرين ابتداءً، تمهيداً للتفنن في نشرها للآخرين لاحقاً؛ وكما لو كان هذا الشخص أضحى مُراسلاً إخبارياً، وقد ألزم نفسه بأن تبقى جعبته مليئة دائماً بالتقارير الطازجة التي لا مهنية تحكمها، بل يتفنن في تسويقها بـ (مانشيتات) الصحف الصفراء لجلسائه، وكلما كان (المانشيت) صادماً لافتاً، كلما تعاظم شعوره بالنجاح والسعادة بذلك.

يبلغ الأمر عند بعضهم بأن يتحدث لجلسائه في تفاصيل يعلم في قناعته الذاتية أنها زيادات وبهارات أضافها من عنده، ولا مصدر لها سوى أهوائه وتقديراته الشخصية، وكل ذلك يحصل منه بعفوية يسلب بها الأنظار والعقول لمتابعة حديثه، تلك العفوية التي اعتاد الاسترسال فيها، حتى لا يكاد يشك سامعه في أنه اختلق شيئاً فيها، وهو ما يؤكد أنه بلغ بذلك مرحلة متقدمة في الكذب إلى درجة تصديق نفسه في ذلك، بحيث لم يعد يُفرّق في عفوية أحاديثه بين جدّه وهزله.

ولذا لا ينفع معه تذكير أو لوم، فكلما عاتبه أحدهم أظهر سلامة نيته و(عباطته) بالتعبير المصري، وهو ما يزيد من وجع المتظلِّم لاستشعاره هوانه عند الآخرين، وأنه مجرد مادة يستخدمها أحدهم في لهوه مع جلسائه فقط.

وقد صدق أبو الطيب المتنبي حين قال:

ذو العقـــل يشـــقى في النعـــيم بعقلـــه

وأخـــو الجهالـــة في الشـــقاوة يـــنعم

الأكيد أن خفة الظل مطلوبة بين الجلساء، ولكن شريطة أن لا يؤدي ذلك للنيل من الآخرين من خلال تجريحهم وتعريضهم لسخرية الآخرين، وخاصة حين يُظهر المعنيون استياءهم من ذلك، فإذا كان العقلاء أقروا بأن ليس كل ما يُعلم يُقال وإن كان صواباً، فمن باب أولى أنهم لا يُقرّون قولاً مشوباً بالافتراء والمبالغات الكاذبة والتجاوزات الواضحة.

| الانتحار |

2

نشرته بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠١١م.

هذا العام صُدمت كما غيري من أبناء قريتي الوادعة بحصول حالة انتحار لمراهقة، ومنزلها لا يبعد عن منزلنا إلا أمتاراً فقط، وما زلتُ أتذكر رصدي لحوارات الناس على اختلاف أعمارهم في تناولهم للحادثة، فبين متحسّر على شبابها، وبين منشغل بتفاصيل الفاجعة، وبين مُعلِّقٍ على دوافع المنتحرة.

مرَّ شهران بعد تلك الحادثة، وإذا بنا نُفجع مُجدداً بحالة مثلها، وهذه المرة لفتاة ناضجة في الثلاثينات! والفتاة الجديدة بنت عم المراهقة السابقة.

أشفقت على نفسي حيث وجدتني مهموماً ببؤس الحدثين، وكثُرتْ في رأسي الأسئلة من قبيل:

لماذا فكّرت الجديدة بمحاكاة السابقة؟

هل غاب عنها قبح الفعل شرعاً، وقد طال حديث الناس عن ذلك مع حصول الحادثة السابقة؟

أم هل غاب عنها الأثر الاجتماعي للحادثة على أهلها؟!

لستُ مِمَّن يستعجلُ التعاطف مع المنتحرين؛ لأني لا أقبل أن يُوصل أحدهم رسالة لي بوسيلة غير مشروعة من جهة، وأيضاً رسالة لا ينتظر مني صاحبها الرد، لأنه حسم أمره وقطع علينا فرصة مساعدته من جهة أخرى.

ولذا كلما فكّرت في دوافع المنتحر، لا أجد مفراً من إدانته بالجانب الأكبر من المسؤولية عما حصل منه، فماذا ترك بفعلته غير الوجع لغيره وسوء الخاتمة لنفسه.

وفي المقابل، صرتُ أتساءل:

ماذا فعل مجتمعنا بواجهاته المختلفة للحد من تكرار هذه الحالات التي لم تعد تستثني قُرانا الوادعة؟ وهل يُعقل أن نكتفي بالصدمة كل مرة، ونتمتم فقط بكلمات المصدومين؟!

أجدني مضطراً لدعوة الجهات المعنية سواء الرسمية أو الأهلية، ومنها وزارات التربية والتعليم والصحة والأوقاف والشؤون الإسلامية والإعلام، وكذا الأندية الثقافية والإذاعات والفضائيات والصحف والمجلات العامة منها والخاصة، لأن تستنهض إمكانياتها وتتكامل فيما بينها للوصول إلى كل التجمعات الشعبية برسالة توعية يكون من نتيجتها التقليل من فرص تكرار هذه الحالات، وذلك بغرس القيم الدينية والإنسانية في وجدان المستهدفين بها، ولا يمكن ذلك إلا بتضافر جهود المختصين، وهم متواجدون بكثرة في الجهات التي أشرت إليها، وذلك لنضمن أن الرسالة تُحقق الهدف المرجو منها، فالرسالة الإعلامية للحد من ظاهرة معينة يمكن أن تزيد منها إذا ما تصدى لها غير المختصين.

إن الحاجة ملحة لمكافحة فكرة الانتحار بالإكثار من الكلام في الأدبيات التي تحد منه، مثل تعزيز مفاهيم حب الحياة والاستشعار بقيمتها واستعراض البدائل المتاحة لتجاوز مصاعبها، واستحضار الموروث الديني والاجتماعي والثقافي في ذلك.

والرسالة الإعلامية يُفترض أن يقوم عليها مختصون يعرفون نتائج استخدام كل مصطلح، فمثلاً تكرار كلمة: (الانتحار) ربما يجر الغافلين عنها من النشء للفضول السلبي عنها.

والأولى أن يتم التركيز على المصاديق الدينية والإنسانية التي تعزز في الإنسان ثقته بنفسه وتحرضه على مقاومة ظروف الحياة المختلفة.

| قصة أبي |

3

كتبتها بتاريخ ٢٥ ديسمبر ٢٠١٠م، وقد كانت ضمن مشاركات مدرستنا في الاحتفاء بأسبوع المرور الخليجي حينها.

طلبتْ منا المعلمة أن نشارك في أسبوع المرور بمشاركات ذات صلة برسالته، وذلك لتعزيز وعي الناس بأهمية الالتزام بأنظمة المرور لتجنب الوقوع في الأخطاء المرورية، والتي تؤدي لحصول خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، وكذا تتسبب في أحيان كثيرة في إصابات وإعاقات مستديمة يصعب علاجها.

عدتُ من المدرسة وأنا مشغولة الفكر، وكلي أمل في مساعدة أبي لي، لأُوثق اسمي في قائمة المشاركات بهذه الحملة الإرشادية المهمة، والتي يستفيد من ترويج رسالتها الوطن والمواطنون.

حدّثتُ أبي عن الفكرة، واقترح عليّ المشاركة بقصته التي مرّت به، ففيها ما وصفه بالعبرة والفائدة.

قال أبي: قبل ثماني عشرة سنة، كانت أمكِ حاملاً بكِ، وكنتُ حينها أعمل بمدينة الدمام، ويومُ الأربعاء كان يومي المفضّل، فهو اليوم الذي أعود فيه لزوجتي وأبنائي وبقية أهلي وأحبتي في الأحساء.

وذات يوم أربعاء، بينما كنت عائداً من الدمام، كانت أشواقي تُسرع بي، وكنت أستعجل توقيت عودتي، فكنت أكسب بعض الوقت من عملي بالحرص على الاستئذان من مديري بالعمل، وكذا كنت أسرق مسافة الطريق بالسرعة.

أتذكر أني من فرط استعجالي، لم أكن أصبر على وجود سيارة أمامي، فكنت أتجاوز السيّارات وإن اضطررت للنزول إلى الطريق الجانبي، فلا أنتظر فسح المركبة التي أمامي الطريقَ لأتمكن من تجاوزها بأمان.

وفي أحد المرات، وبينما كنت نازلاً على الطريق الجانبي للتجاوّز، وإذا بي فقدت السيطرة على سيّارتي، ولم يكن أمامي إلا التسليم بما تفعله الأقدار بي، وكان أن اصطدمت سيارتي بشاحنة، وتضررت أضراراً كبيرة بسبب ذلك، ولطف بي ربي، فخرجتُ منها معافى إلا من فزعي مما حصل، فبقيت أُلملِمُ نفسي التي تبعثرت من هول ما حدث.

بعد أن هدأ روعي، صرت أُراجع ما حدث لتقييمه، وعرفت أن سبب ما حصل هو التجاوز غير النظامي، وأن النزول على الطرق الجانبية في حال السرعة يكون سبباً لحصول خلل في توازن المركبة، نتيجة الاختلاف بين طبيعة أرضية الطرق المعدة للقيادة عليها (المسفلتة)، وطبيعة أرضية الطرق الجانبية الرملية، ويُعزّز ذلك مجاورة الشاحنات الضخمة بالطريق، والتي تؤثّر على توازن المركبة الصغيرة المقتربة منها، وخاصة مع وجود رياح متحركة، وبالتالي فقدان السيطرة عليها من جانب قائدها.

ما حدث جعلني أُراجع حساباتي، وبالتالي تصويب قراراتي المرورية، فأن أتأخر ساعة أو ساعتين خير مِن أن لا أصل لزوجتي وأبنائي وبقية أحبائي، وصرت إذا ما سافرت برّاً أكثر حرصاً على سلامتي، فألتزم بالضوابط المرورية التي وُضعت لتأمين سلامتي وسلامة الآخرين، وأُكثِرُ من تذكركِ وبقية أخوتكِ، وأنكم تستحقون أن أصل لكم سالماً، لأني أتوقع أنكم في انتظاري وتراهنون كثيراً في مستقبلكم على وجودي بينكم.

تنهَّد أبي، ثم سمعته يقول: أدعو الله أن يمد في عمري، وأُمتع ناظريّ برؤيتكم تكبرون أمامي وتحققون طموحاتي بأن أراكم ناجحين في المجالات المختلفة التي تختارونها في عمارة الأرض، وأن أوفق للوقوف لاستقبال المهنئين في زواجكم وأحتضن أطفالكم كما احتضنتكم.

تنهَّد مجدداً، ثم أضاف: كثيراً ما يستوقفني مقطعٌ قرأته للأديب المعروف محمود درويش، والذي يقول فيه: (وأعشق عمري، لأني إذا مِتُ، أخجلُ من دمعِ أُمّي!)، فنحن نلتفت ونفطن لقيمة حياتنا أكثر حين نستحضر الأثر المؤلم الذي يمكن أن يُحدثه غيابنا عند أحبابنا سواء كانوا آباءنا أو أبناءنا أو غيرهم.

لم أتمالك نفسي، شعرتُ أن دمعةً ثقيلةً تجمّعتْ تنتظر أن أسمح لها بالاستراحة على خدي، وقررت المكابرة حينها، واكتفيت باستلام جبين والدي، وقبَّلته عدة مرات، وقلتُ له: أطال الله في عمرك يا أغلى أب، وأبقاك لنا بصحتك وعافيتك ذخراً، ولا حرمنا الله من رضاك ودعائك.

انسحبت إلى غرفتي، وهناك أغلقت الباب خلفي، وتوجهت لصورة أبي التي أحتفظ بها بألبوم صوري، فأخرجتها وضممتها لصدري، ومعها فاضت مدامعي، وكل دمعة منها كانت كاشفة لمقدار حبي وحاجتي لوجود أبي وحضنه.

بعد أن هدأتُ، تمنيت أن تصل (قصة أبي) لكل أب، بأن يستحضر الآباء رهان أبنائهم عليهم، والأمر نفسه مع كل قائد مركبة، فلا يخلو إنسان من محبين يستحقون أن يحرص على سلامته لأجلهم سواء كانوا أبناء أو آباء أو أصدقاء أو غيرهم.

| معاً ضد الإرهاب |

4

نص الكلمة التي أعددتها وقرأتها في الطابور الصباحي في مدرستنا، وذلك بمناسبة الأسبوع الذي خصصته المملكة لمكافحة الإرهاب كجزء من أنشطة المدرسة في مواجهة تلك الظاهرة، العام الدراسي ١٤٢٥هـ / ١٤٢٦هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعل هذا البلد آمناً مطمئناً ورزق أهله من الثمرات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله الذي كان خلقه القرآن، وكفى بالقرآن خلقاً وعلى آله وصحابته الميامين.

سعادة مدير المدرسة، زملائي المعلمين، أبنائي الطلبة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محبة الوطن غريزة تولد مع الإنسان، لذا كان من الطبيعي أن يجنِّد المرء نفسه في خدمة وطنه، فيشارك في بنائه حين الرخاء، ويدافع عنه حين البأساء والضراء، ومن الشذوذ أن يقوم المرء بالعمل على تخريب وطنه وترويع مجتمعه.

هذا الكلام يصح مع كل وطن، فكيف بوطننا هذا، والذي له خصوصية من حيث كونه مهد الرسالة المحمدية وقبلة المسلمين ومحط أنظار العالمين.

هذا الوطن الذي يتملكنا الزهو والفخر بالمستوى المعروف عنه من أمن وأمان يرفل به المواطنون والمقيمون في كنفه.

هذا الوطن الذي يدير أحدنا فيه محرك سيّارته ليقطع المسافات الطوال من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه، وهو آمن على نفسه من قاطع طريق، بل إن أحدنا ليترك أهله وذويه ويسافر في شأنه بعيداً عنهم، ويبقى رغم بُعده عنهم مطمئناً على سلامتهم، لما يعرفه من أمن وأمان في هذا الوطن.

هذا الأمن والأمان كان محصلة طبيعية لتوفر عوامل عدة في بلدنا ومنها:

- تبني ولاة الأمر للشريعة الإسلامية كمنهج وطريقة حياة.
- قوة الثقافة الإسلامية وأصالتها في شعبنا.

هذه الثقافة الإسلامية التي يُغذّيها الخُلق النبوي الكريم، والذي ينهى المسلم وهو في ظروف الحرب عن أن ينال من امرأة أو يقتل شيخاً أو يزجر طفلاً أو يُلاحق مُدبراً، بل امتد ذلك الخلق العظيم ليشمل الطبيعة كلها، فكان أن نهى الإسلام عن قطع شجرة.

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إذا بعث سرية، نادى أميرها فأجلسه إلى جنبه، وأجلس أصحابه بين يديه، ثم قال: «سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثّلوا ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة.

وأيّما رجل من أدنى المسلمين أو أقصاهم نظر إلى أحد من المشركين، فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإذا سمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في دينكم، وإن أبى، فاستعينوا بالله عليه وأبلغوه إلى مأمنه».

رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس، كما رواه ابن داوود في سننه عن أنس بن مالك.

الله أكبر..

لاحظوا أن هذا خُلق المسلمين الواجب عليهم في ظروف الحرب، فكيف بخُلق المسلمين في ظروف السلم.

بلى والله، هذا الشاهد وغيره من الشواهد النبوية، تثبت أن ديننا الإسلامي الحنيف ينضح رحمة للعالمين.

لذا كان أن تنبّهت الأمة إلى ضلال أولئك الذين يتبنون العنف العشوائي وترويع الآمنين دون احترام للضوابط الشرعية، فعندما يناقشهم العلماء في عشوائية أهدافهم ومدى ضررها وإصابتها لإخوانهم من المؤمنين الآمنين، نجدهم يهربون إلى حجج واهية لا تستند إلى دين أو عقل أو منطق إلا إتباع الهوى.

فمما يقولونه في تبرير قتل الأبرياء: أنهم إذا كانوا من أهل الصلاح، فإننا بقتلهم إنما عجلنا بهم إلى الجنان.

بالله عليكم، أيّ دين أو عقل أو منطق يبيح لصاحبه أن يستبيح دماء الآخرين بمثل هذا المبرّر ؟!

إذن.. ما الحاجة لوجود نصوص شرعية قطعية الدلالة، تؤكد على حرمة الدم وتتوعد بالعذاب الأليم لمن يتعرّض له ؟!

هذا المثال الذي ضربته لكم، يُثبت ضعف حجّة هذه الفئة الضالة ومدى خطورة طرحها على أمن مجتمعنا إذا ما انتشرت أفكارها، ومن ثم سلوكياتها.

وكلكم تلحظون أن هذه الجماعات التي تتبنى الأعمال الإرهابية لديها نرجسية مفرطة بأدبياتها، فلا تسمح لأحد أن يختلف معها في تقدير أي ظرف.

فما إن يختلف أي طرف معها حتى ترميه بالكفر تمهيداً لإباحة دمه وماله، فلم يتوقفوا عند تكفير ولاة الأمر والعامة من الناس، بل بلغ بهم الأمر إلى تكفير العلماء الذين اختلفوا معهم في تقدير هذا الظرف أو ذلك.

ومن خصائص أفراد هذه الجماعات الإرهابية:

- أنهم يرفعون أصواتهم فوق صوت أهل العلم، فلا يحترمون أحداً، متذرعين بالحماس الزائد للجهاد والقتل والقتال، وحماسهم في حقيقته لا يعلو عن كونه صخباً في صخب، كسراب يحسبه الظمآن ماء.
- أنهم يميلون لكل قولٍ وإن كان خطأ، يُفضي إلى التشدد والغلو والتنطع وسفك الدم ولو بالحرام.
- أنهم يرمون كل من خالفهم وإن كان محقاً بالتخاذل والعداوة للجهاد والمجاهدين ترهيباً وإسكاتاً لصوته.

- يعتمدون أسلوب التهييج والصخب ورفع الصوت والحماس الزائد ورفع شعارات القتل والقتال لترهيب المخالفين.

كل ذلك يتم منهم من غير علم ولا بصيرة ولا مراعاة لضوابط ومقاصد الشرع، فتراهم لا يُحسنون النظر لأبعد من أنوفهم، لأنهم لا يُريدون أن ينظروا لأبعد من ذلك.

- يخوضون في المسائل الكبار، ويُحلّلون ويُحرّمون، ويُشرّقون ويغربون، ويُخطِّئون ويُصوِّبون، والويل لك لو خطأتهم أو خالفتهم أو ناصحتهم، فيصنِّفونك مباشرة أنك من المخذِّلين وضد الجهاد والمجاهدين.
- إذا نظروا في أقوال أهل العلم، لا ينظرون فيها ليستفيدوا ويتعلموا منها، ولكن ليبحثوا عن مفردات متفرقات متشابهات هنا وهناك ليتقووا بها على صخبهم وتهييجهم.
- يستخِّفون بالحقوق والحرمات، فلا يُراعون عهداً ولا ذمة ولا أماناً، لأنهم لا يعرفون معنى العهد والأمان، ولا معنى الغدر وما يترتب عليه من وعيدٍ وخذلان.
- يحترمون العالِمَ ما وافقهم وواكبهم على أهوائهم، فإن خالفهم لم يدعوا نقيصة ولا مسبة إلا وألصقوه بها وألصقوها به. إن وافقهم في قول، فقوله حُجة لا يُرد عليه ولا يُعقّب، وطاروا به في الآفاق فرحاً وطرباً، وإن خالفهم في مسألة أو قولٍ وإن كان حقاً، استهانوا به وبعلمه.

هذه الفتنة التي حاول هؤلاء الضالون زج وطننا بها ليست جديدة على الأمة، فقد حدث أن خرجت فئة من الخوارج على جماعة المسلمين في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام.

فما أن اختلف عليٌ معهم في تقدير الموقف من أمر محدد بعينه، حتى حكموا بردته وكفره، فكان أن أباحوا دمه وكل من يتبنى رأيه من جماعة المسلمين.

لاحظوا، كيف أن الخوارج عُرف عنهم التشدد والغلو، لكن تشددهم ومزايدتهم أوردتهم النار وبئس المصير؛ وذلك نتيجة الفهم الخاطئ لتعاليم الشريعة الإسلامية، وإلا كيف لمسلم عاقل أن يُبرر لنفسه تكفير ولي الأمر إن كان في قامة علي بن أبي طالب عليه السلام، ويكفّر جماعته وبينهم حَبر الأمة ابن عباس–رضي الله عنه– وغيره من الصحابة الأجلاء.

أما الوصف الرباني لهؤلاء، فنجده واضحاً جليَّاً في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾.

من خلال هذا كله كان لزاماً علينا جميعاً، أن نلتفت إلى المخاطر التي تتربص بمصالح وطننا وأمن مجتمعنا، وذلك بأن نتكاتف جميعاً مع قيادتنا الرشيدة في التصدي لظاهرة الإرهاب؛ وهو ما يستلزم استنهاض كل الجهود للحد من انتشار هذه الظاهرة، ومن ثم استئصالها لينعم هذا الوطن بالأمن والأمان.

والحمد لله رأينا ذلك جليّاً من خلال الجهود الكبيرة التي بذلتها قيادتنا الرشيدة من موقعها الأبوي حين احتضنت التائبين الذين استفادوا من مهلة العفو، قبل أن تضطر إلى ضرب الخلايا الإرهابية التي أصرت واستكبرت تريد مواصلة الإضرار بهذا الوطن ومصالحه.

وقد كان للعلماء نصيب الأسد في التصدي لهذه الظاهرة، فقد صدر عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية حول الإرهاب ما يلي:

« درست اللجنة هذا الموضوع من جميع جوانبه، ورأت أن ما حصل أمر محرم، وهو من أشد أنواع الظلم والاعتداء لما فيه من إخلال بالأمن وسفك للدماء المعصومة وترويع للآمنين وتدمير للممتلكات، واللجنة إذ تستنكر هذا الأمر أشد الاستنكار، تدعو المتأثرين بالفكر الباعث على تلك الحوادث إلى أن يتقوا الله عز وجل ويعودوا إلى رشدهم ولا ينقادوا خلف أعداء هذه البلاد المتربصين بها، لأن ذلك يؤدي بهم وبمجتمعهم إلى الوقوع فيما لا تحمد عقباه، وعليهم أن يناقشوا ما يعرض لهم من شُبَه مع من يثقون بعلمهم ودينهم من علماء بلدهم ومفكريها استيضاحاً للحق واستجلاء للحقيقة ».

كما صدر عن هيئة كبار العلماء عدة قرارات وبيانات لرفض أفعال وسلوكيات الفئة الضالة، كما أصدر عدد من العلماء السعوديين بيانات توضيحية حول الإرهاب العالمي، مؤكدين أن الإرهاب ليس من الإسلام في شيء، وقد كان لهذه البيانات صداها الإعلامي الطيّب لدى أوساط الاعتدال الإسلامي.

ونحن هنا، نجد من واجبنا الديني والوطني والأخلاقي أن نقف وقفة إجلال وإكبار لكل شهداء الوطن من رجال أمننا البواسل الذين استشهدوا وهم يؤدون واجبهم في خدمة دينهم ومليكهم ووطنهم.

ونحن كمنسوبي هذه المؤسسة التربوية، نأمل أن نرى فيكم جيلاً صالحاً، يُسهم في خدمة هذا الوطن وبنائه والدفاع عنه. وذلك سيتحقق – إن شاء الله – إذا ما نجحنا في زرع الفضيلة والثقافة الإسلامية الوسطية السمحة التي تدعو الناس إلى التعاون والتآخي والمحبة وتنهى عن الإرهاب والتطرف والانحراف الفكري والسلوكي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

| الطائفية في الوطن غربة |

5

كتبت المقالة بتاريخ ٢٣ يونيو ٢٠١٣م.

الحدود الجغرافية لدول العالم متحرّكة، وبعض دول المنطقة العربية كمثال، تم تحديد حدودها بين دبلوماسيين غربيين، وهما (سايس وَ بيكو)، وصار المواطن العربي يُقاتل دون ذلك الخط الوهمي، ويقتتل حوله اقتصادياً وإعلامياً وسياسياً وعسكرياً واستخباراتياً ورياضياً وحتى فنياً.

ولهذا كان واجب حكومات الدول الحديثة أن تعزز اللحمة الوطنية بين مكونات شعبها، فهناك جغرافية حديثة التكوين وتتطلب تجذيرها في وجدان مواطنيها لتخلق فيما بينهم شعوراً بالانتماء، تمهيداً لاستثمار ذلك في واقعهم بما يخدم الاستقرار بينهم وتحقيق التنمية المنشودة بهم ومعهم ولهم.

وللأسف لم تسعَ حكومات الدول العربية لبلوغ ذلك، فما زال الكردي في العراق يشعر بأنه ليس معنياً بابن البصرة، وما زال ابن نجد مرتابا من ابن القطيف والعكس صحيح أيضا، وما برح بعض (البحارنة) يشعرون بالغربة في وطنهم الصغير، وما انفك الكويتيون ينتقصون بعضهم أمام أي موقف داخلي أو خارجي.. إلخ.

أغلب حكومات المنطقة ملكت مساحة كافية من الزمن واستأثرت بسلطة مطلقة ومقدرات اقتصادية ضخمة، ولديها احتكار للإعلام والتعليم وحتى دور العبادة، وكانت الفرصة مواتية لها لتجذير الشعور الوحدوي بين مواطنيها، وكان يمكن لها استثمار كل تلك الإمكانيات لخلق حصانة وطنية ذاتية من أي اختراق لعابث داخلي أحمق غير واعٍ أو لخارجي متربِّص.

للأسف الشديد، رأينا العكس في بعض عواصم منطقتنا، فما انفك عنا التأفف المصاحب للتعجب من استمرار بث قنوات الفتنة الطائفية رسالتها الإعلامية من مكاتب فيها، بما تحمله تلك القنوات من رسالة تحريضية كلها كذب وافتراء، ولغة التخوين تتطاير منها بلا هوادة ولا ترشيد.

هي دعوة للغيارى على أوطاننا، أن لا يبقوا متفرجين على غرق سفينة أوطانهم، فالخطاب الطائفي لا يُحصد منه إلا المزيد من الانقسام الحاد، والانقسام الحاد لا يأتي باستقرار ولا تنمية، ولا يُحصِّن وطناً من أي خطر سواء كان داخلياً أو خارجياً.

| أبنائي في عهدتكم أيضاً |

6

كتبت المقالة بتاريخ ٨ نوفمبر ٢٠١٤م.

يوم السبت الماضي، كنت أمام مشهد موحد لأبنائي (آمنة وليلى وإلياس)، فقد انهمرت مدامعهم تفاعلاً مع خسارة الهلال المؤلمة لمباراته أمام فريق (ويسترن سيدني الأسترالي) في نهائي أبطال آسيا.

صار معروفاً في عائلتنا بأن أبنائي من صقور الهلال، فيتابعون أخباره ويغارون على كل ما يمت بصلة له.

أبنائي وهم يتابعون دخول الجماهير من الساعات الأولى للملعب، كانوا يشعرون بالانتماء لهم، وكانوا يُمنون النفس بأن يكونوا بينهم.

أبنائي لم نخبرهم، ولن نخبرهم أن هذا الفريق محسوب على أهل السنة والجماعة، وإدارته وجمهوره كذلك.

الأكيد أن أبنائي وهم يتابعون مباريات الهلال، غافلون عن تصنيف عقيدة الأمير عبد الرحمن بن مساعد ومحمد الشلهوب وياسر القحطاني وغيرهم من اللاعبين والإداريين.

الأكيد أني أُحمّل كل الهلاليين من رأس الهرم في إدارته إلى أصغر مشجّع له مسؤولية أن لا يفسدوا تربيتي لأبنائي، فقد تعاهدتهم على محبة كل عنوان يمت لهذا الوطن بصلة، وأجتهد في إبعادهم عن أي عنوان يمكن أن يشتت تركيزهم معه.

الأكيد أني حين أفعل ذلك لا أمارس ترفاً تربوياً، ولا أنطلق من إحسان فائض عندي، بل ذلك منبعه قناعتي المتجذرة بأن هذا الوطن هو حاضرنا ومستقبلنا جميعاً، فلا نعرف داراً غيره، ونستثمر فيه كل طاقاتنا البشرية وإمكانياتنا المادية، ويصبح من المنطق السليم أن نؤمّن لذلك تربة خصبة لكل خير، ونتعاهدها بالعناية، ونذود عنها الأخطار.

العمر يركض بي إلى الأربعين، والشيخ لا يركل الأرض التي عليها حبا، بل يزداد انتماء لها، وإصراراً على عمارتها إذا ما عاش، ويمني النفس أن يُقبر في بطنها إذا ما مات.

أبنائي في عهدتي، وفي عهدة كل ما يحيط بهم، فمتى يبلغ البنيان تمامه، إذا كنا نبنيه وغيرنا يهدم.

| لنتعارف ونتسابق بنبلٍ |

7

كتبت المقالة بتاريخ ١٤ ديسمبر ٢٠١٣م.

هناك فرق بين أن يذكر خصمكَ مزاياك بقصد الاعتراف الإيجابي بسبقكَ عليه كمقدمةٍ للتنافس النبيل معك، وبين أن يذكرها بقصد التحريض عليك وإذكاء نار الاستعداء ضدك وشيطنتك.

هذا ما ألاحظه في خطاب أمثال عبد الله النفيسي وغيره من رجالات الطائفية المنتنة برائحة الكراهية في قنوات الفتنة، فهم إذا ما وقفوا على ميزة عند المجتمع الشيعي، يتم تقديمها للجمهور السُنّي أنها بالضرورة ستكون على حسابهم.

كلام الطائفيين المغلّف بالإعجاب أحياناً بتفصيل معيّن عند الشيعة، إنما يذكرونه في سياق التحريض على الشيعة والتأليب ضدهم، فيقدمون لإخواننا من الجمهور السني خطاباً مفاده: «الشيعة منظمون، وبالتالي خطرون»، فكلامهم عادة يكون في سياق التحذير من أي نشاط للشيعة وإن كان إيجابياً، وليس في سياق الاستفادة من مزايا جماعة بشرية إنسانية اسمها (الشيعة)، بل يعتبر الطائفيون مزايا أفراد الطائفة الأخرى مبرراً إضافياً للريبة منهم.

مؤلم أن ينظر شريكك في الوطن والجغرافيا لأي مكسب تحققه بعد جهدك الإنساني الطبيعي أنه بالضرورة على حسابه، وكأن قدرك أن لا تجتهد لتحسين واقعك، وتبقى رهيناً للذل والهوان حتى لا يخشاك جارك!

ومؤلم أن يكون القائم على نشر الدعاية الطائفية بعض الأكاديميين والمثقفين الذين يتصدرون المشهد في قنوات الفتنة تحريضاً وتأليباً وتجييشاً.

متى يعي الجمهور المسلم العام، أن الله لو أراد أن يخلق الناس أمة واحدة لفعل ذلك، ولكنه سبحانه خلقنا شعوباً وقبائل لنتعارف وليس لنتقاتل ونتظالم، لنتسابق بنبلٍ في عمارة الأرض، وليس لندمرها بمكر وخبث، ليختبرنا أيّنا أتقى في حفظ الآخر المختلف، وليس أيّنا أسهل في نبذه والإضرار به.

قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً**﴾.

متى تكون أولويات الأكاديميين والمثقفين في الوسط الإسلامي العام نشر الوعي الذي يعزّز حضور مفاهيم السلام والتكامل والنبل الإنساني بين جميع مكونات أوطانهم؟!

هي دعوة لأن يكون المثقف دليلاً على جمال الآخر تمهيداً لمحاكاته فيه، وبالتالي تأمين التلاقي معه من خلاله، وليس دالاً على قبحه تمهيداً لاستعدائه، وبالتالي الانجرار لدوامة لا تنتهي من الصراعات معه، والتي تأتي خراباً على حاضر الناس ومستقبل أجيالهم، فضلا عن إنسانيتهم.

يقول الشاعر السيد مصطفى جمال الدين:

وإذا طابـــــت النوايـــــا، تلاقـــــت

في هـــوى الضـــفتين منـــا الجســـور

| فوضى الأسئلة |

8

بلوغ الإجابات الصحيحة والسعي الحثيث للاقتراب منها إذا تم هو المكسب والثروة، ولا شك أن الأسئلة مقدمتها، ومقدمة الواجب واجبة، وليست مندوبة فقط.

المهم أن يكون السؤال بإخلاص، وإلا فإن الهوى ما خالط شيئاً إلا أفسده.

وبعد الإخلاص، يأتي الجد والاجتهاد في طلب العلم، ولذا غير معذور مَن يتكاسل ويركن عند مستوى فرحته بالأسئلة حد الاغترار بها والاستمتاع بإبرازها لإعجاز غيره، وكأن الأسئلة في ذاتها دين ومعتقد.

أُحِبُّ كُل مخلص مثابر متواضع يبحث عن المعرفة، لا لكي ينتصر بها على أحد، بل ليظفر بها نجاة من جهل وظلمة، وفوزاً بعلم ونور وسعادة حقيقية، ليكون بها مبشراً بخير أو منذراً محذّراً من شر.

قال تعالى: ﴿ **بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ** ﴾.

لستُ أدعو لتفتيش النوايا، بل استشهدت بقوله تعالى، ليعذر الإنسان نفسه، وليس ليعذره غيره أم لا !

الإنسان بينه وبين نفسه، يعلم مستوى ما بلغه مِن وسعه في طلب المعرفة، ومستوى ما خالطه من هوى.

لا شك أن البحث في كل مجال مُتاح لكل متصدٍ، ولكن مصداقية الباحثين والناقدين متفاوتة عند المتلقين.

بالتأكيد لا نتوقع من المتلقي لنتائج تلك المراجعات أن يتجاهل العناوين ذات الصلة بالإنسان المتصدي للبحث نفسه، سواء في سيرته العلمية أو المهنية أو الشخصية أو غيرها مما لا يستطيع عاقل أن يتغافل عنها باعتبارها حاضرة مع كل باحث ولا يمكن تخيّله بدونها.

وكأني ببعضهم يريد منا أن نقرأ لفلان الذي نعرف سيرته وانفعالاته وصداقاته وخصوماته، وكأننا نقرأ لباحث فرنسي لا نعرف عنه شيئاً إلا عنوان كتابه.

مهما حاولنا اصطناع الموضوعية، ستكون سيرة الباحث جزء من تحليلاتنا، وليس بالضرورة أن تكون تلك السيرة سلبية، بل قد تكون مشرقة وتزيد من مصداقيته وقناعتنا بصدقه وإخلاصه ومثابرته.

| الوحدة الإسلامية |

9

مخطئ من يظن أن الوحدة تعني نفي ثوابت طرف لحساب إقرار ثوابت الطرف الآخر، بل الوحدة هي جمع الأطراف المتعددة على المشتركات التي بينها خدمة لمصلحة الجميع، بل مصطلح الاتحاد نفسه يثبت وجود التعدد، وأن الاتحاد إنما هو تعبير عن وجود مشترك يضم ذلك الواقع المتعدد.

البحث عن المشتركات وتعزيزها بين الأطراف المتعددة حاجة يقرها العقل، وتفرضها المصالح الواقعية لجميع الأطراف، فما دام هناك تحديات مشتركة تستهدف الجميع، وأهداف مشتركة مشروعة للجميع، يُصبح من الحكمة والعقل السليم العمل على إيجاد آليات توحد الأطراف حولها قدر المستطاع.

كما أتمنى أن لا يغيب عن أحد منا أن حركة الوحدة بين أطراف متعددة في عائلة واحدة أو قرية واحدة تشوبها منغصات، فكيف بها حين تكون على مستوى أُمّة ؟!

إدارة حركة واقع بحجم أُمّة، يحتاج بالتأكيد مستوى متقدماً من الوعي والإرادة ونكران الذات في مفاصل جادة، فضلاً عن الهدفية السامية التي يُفترض أن يتعبّد المرء بها ربه سبحانه وتعالى من خلال إيمانه بأهمية جمع ما يمكن جمعه من المسلمين وعموم المستضعفين على ما يقوّي شوكتهم في مقابل خصومهم من المستكبرين.

واجبنا يُفترض أن نقوم به، وإن أصرّ طرف على عناده وتجنيه، فحسبنا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾.

الأكيد أن علينا مطالبة كل طرف بإنصاف الأطراف الأخرى، فليس مطلوباً من الشيعي كمثال، أن يتنكّر لجراحاته إن حصلت، بل عليه أن يُدير واقعه الذي يتألم فيه بما يخدم حضوره وعلاقاته الاجتماعية حاضراً ومستقبلاً، وذلك لا يمكن تحقيقه بالانفعالات غير المحسوبة النتائج، والمسلم الشيعي المعاصر اكتسب خبرة من وجوده في حزمة الاضطهاد على مر العصور السابقة، ولذا صار العالم يُتابع حركته ويذهل من إيجابيته وفاعلية حضوره وفهمه لمستقبله، لأنه صار يُدير خياراته بمهنية لا تبعده عن أصالته، ولا تنسيه متطلبات عصره.

| شبابنا والسكن |

10

مسودة كلمة تم إعدادها لإلقائها يوم الجمعة على جمهور المصلين.
كتبت بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠١٢م.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أمر بالعدل والإحسان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وآله الهداة الميامين وأصحابه المنتجبين.

أيها المؤمنون.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾.

إن التكافل الاجتماعي له دور مهم وفعال في انضباط الأفراد، وتحقيق الأمن الاجتماعي، وترسيخ الاستقرار والاطمئنان، وغرس القيم الإيمانية بين جميع فئات المجتمع، وهي القيم التي تحفظ للمجتمع أمنه وسلامه، وتبث فيه روح الإخاء، وتبعده عن الاستغلال والعدوان، وتنقي النفوس من الأحقاد والعداوات.

إن الدراسات الإنسانية صنفت حاجات الإنسان الأساسية، ورتبتها بحيث جاءت حاجته للمسكن بعد تأمين حاجته للغذاء والأمن والأمان، وما تطورت البشرية إلا نتيجة لاستقرار الناس في مناطقهم بحيث يتكاثرون قرب بعضهم

ويتبادلون المنافع فيما بينهم، فتزدهر القرى والمدن، وتصبح حاضرة منتجة في كل المجالات الإنسانية.

والسكن من المعضلات التي تواجه جيل الشباب الصاعد، فقد جاءني بعضهم يشتكون وقوعهم بين نارين، فمن جهة غلاء إيجارات الشقق، ومن جهة أخرى ارتفاع أسعار الأراضي وتكاليف البناء، فإن حاول أحدهم تجنب سِندان الإيجارات ومذلتها، طالته مطرقة غلاء الأراضي والعقارات، ولأن المعنيين بالأمر بيننا، والواقعة مشخصة أمامنا، فالشباب شبابنا، والمالكون للشقق والعقارات والأراضي والمستثمرون فيها هم في العادة بعض من أهلنا وإخواننا، ألا يستدعينا ذلك لمراجعة الأمر بحس جماعي تكافلي ؟!

لمستُ في شبابنا عتباً علينا وحرقة تضطرم بداخلهم من فرط استشعارهم بالوجع من تكالب الالتزامات عليهم، فهذا أحدهم يتألم مما اضطرته ظروفه لأن يُساوم صاحب الشقة ويُذل نفسه طالباً منه تخفيض سعر الإيجار المطلوب منه قبل توقيع العقد، فلله در المالك يكاد يمنع أخاه المؤمن عن أن يُؤمِّن لذويه سقفاً يُظلهم تحته، وقد تكررت عودة الشاب له على أمل أن يَلين قلبه ويتغيّر موقفه.

وذاك ثانٍ جاء يشكو لي من ارتفاع سعر الأراضي، فما حصل عليه من (الجمعية المالية) التي التزم بأقساطها لسنوات لا يكفيه لشراء قطعة أرض، وهو ما اضطره للاستدانة من أحد البنوك ليُكمِّل ما نقصه، وليته أكمله بذلك، ثم يُلاحقه آخر بعنوان: (السَعي)، فيُطالبه بدفع مبلغ مرتفع بحجة أتعابه، وليتها أتعاب حقيقية، بل بعضها أتعاب وهمية.

وصار العمل في (السَعي) مما يتسابق عليه بعضهم حتى تضررت بعض العلاقات نتيجة لذلك، فما إن يُشير أحدهم على الشاب بأرض حتى يُلاحقه بمبلغ ما يُسمى بـ (السَعي) حتى وإن كان ذلك السعي لم يكلفه جهداً ولا وقتاً؛ فما ضر لو قَبِل بمبلغ يسير، واحتسب ذلك لله سبحانه وتعالى!

إننا نتفهم العرف الاقتصادي الذي يُنظِّم عملية انتقال ملكية الأراضي والعقارات بين الناس، ولكننا ندعو للإحسان بين المؤمنين، وخاصة في الحالات التي يعرف فيها الساعي بأن أخاه المؤمن لا يُريد تلك الأرض أو تلك الدار للاستثمار، بل يُريدها للسكن فيها مع عائلته، وقد جمع ماله بالديون، فهل من الأخوة أن يُلاحقه بمبلغ (سَعي) مرتفع.

واقع مؤلم استشعرته حين ذكر لي أحدهم أن أحد أقاربه يُلاحقه بالسعي، وهو يعلم أن قريبه بحاجة ماسة لكل قرش، ولم يكلفه أمرُ سَعيّه إلا كلمةً حجز بها الأرض.

هذه الشواهد بعضٌ من بوح شبابنا.

بلى.. كم مرة تأخر إتمام عقد نكاح عند المشايخ الكرام، وذلك بسبب اشتراط أهل البنت تأمين شقة مستقلة لكريمتهم!

وإذا كان الأغلب منا يتمنى لكريمته السكن بشقة مستقلة، ألا يكون من الحكمة أن نساعد شبابنا على الوفاء بذلك، وهذه مفارقة صادمة، فكيف نشترط أمراً لا نُساعد عليه ؟!

واجبنا أن نُراجع أهلنا من مالكي العقارات والأراضي لأن يَرضوا بالربح المعقول، وليتركوا ما زاد عن ذلك إحسانا منهم، والله يحب المحسنين.

إن التبرير الاقتصادي لرفع الأسعار بحجة العرض والطلب بالطريقة الرأسمالية المنزوعة الرحمة، إنما فيه تنكُّر لالتزام الفرد تجاه جماعته، فضلا عن قيمه الإيمانية.

المؤمنون الكرام، إنها دعوة صادقة مني ومن الغيارى على مجتمعنا الطيب، بأن نجد كل فرد منا وقد عرف دوره ومسؤوليته التي يتكامل بها مع غيره، وكله إيثار وتفانٍ في خدمة الصالح العام لمجتمعه. فالله الله في مراعاة شبابنا المحتاجين لتأمين سكن يضمهم وزوجاتهم وأبناءهم، والله الله في مراعاتهم أثناء سعيهم لشراء قطعة أرض في بلدتنا حرصا منهم على قرب أهلهم وصلة رحمهم، وتأكيداً منهم على رغبتهم في تأصيل انتمائهم لجماعتنا.

وفي المقابل، أُناشد شبابنا الصاعد أن يُحسِن إدارة مصاريفه، ويُرتب أولوياته، ويطرق أسباب الرزق الحلال بما يُعينه على الوفاء بالتزاماته تجاه أهله، ويوسع عليهم بما تفضّل الله به عليه، فالاقتصاد في النفقة نصف المعيشة.

بارك الله لي ولكم بالقرآن الكريم، وما فيه من الآيات والذكر الحكيم: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** ﴾.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

| المتعة الجنسية السياحية |

11

شاركت به في المنتديات الحوارية بتاريخ ١٥ مايو ٢٠٠٦م.

الأخبار المتواترة تؤكد أن المتعة السياحية باتت سلوكاً مألوفاً في الوسط الرجالي، حتى صار الكثير من الرجال يُفاخرون بعلاقاتهم السريعة في هذا البلد أو ذلك.

وصرنا أمام واقع يفرض علينا التعاطي معه بما يجنبنا تبعات ذلك السلوك والتقليل قدر الاستطاعة من سلبياته.

المتعة السياحية: هي تلك العلاقة الجنسية والتي يطلبها أحدهم مع بائعة هوى ضمن عقد شرعي سريع.

ومن هذا التعريف يمكن تحديد أركان هذه العلاقة بأنها: رجل مسلم، وبائعة هوى غالباً، وعقد شرعي، وتواصل جنسي نظير مبلغ مالي.

سألت نفسي أسئلة عدة من قبيل:

ما أثر ذلك على نسائنا اللائي يعود لهن أزواجهن بعد كل سفرة، وهنّ النصف الآخر في المجتمع على المستوى النفسي والاجتماعي والصحي والاقتصادي؟!

وأين موقع نسائنا من هذا السلوك الرجالي، والذي يطالهن بشكل أو آخر؟

هل يحق لنا أخذ الأمر بجدية أكبر وخاصة في الجانب الصحي، كأن ننصح نساءنا باتخاذ بعض الاحتياطيات اللازمة في معاشرتهن لأزواجهن حفاظاً على صحتهن وأبنائهن، أم نطمئن ونكتفي بالاحتياطيات التي يُفترض أن الزوج اتخذها في علاقاته السريعة تلك ؟!

أين موقع الزوجة من قلب الزوج وتفكيره وهو ينتقل من حضن لآخر ؟! ألا يؤثر ذلك على تركيزه الأسري، وبالتالي ينسحب على أسرته وانسجامها ؟!

وفي الجانب الاقتصادي، ونتيجة لاعتماد الأسرة على دخل الرجل عادة، فإننا نقع أمام هاجس حقيقي يحتاج تجلية ابتداءً، تمهيداً للحد من آثاره السلبية لاحقاً.

يُجمع الرجال أنفسهم أن هكذا سلوك يستحوذ على قسم معتبر من مدخراتهم، وقد يُستدرجُ بعضهم لطائلة المديونية، وبالتالي يؤثر ذلك على رفاهية الأسرة، ويحرمها من تلبية حاجاتها الحالية الملحة، وكذا حاجاتها المستقبلية، والتي يفترض أن تُلبى عن طريق الفائض من مدخرات رب الأسرة، والتي يمكن أن تأتي عليها هكذا اهتمامات مكلفة.

الأكيد أن ألفة هكذا سلوك من الجانب الرجالي يُلقي بظلاله على حاضر الأسرة ومستقبلها على كافة الأصعدة، وهو ما يحتاج منا تشخيصه والحد من آثاره الجانبية السلبية قدر الاستطاعة.

ومن ذلك خلق قناعات جديدة تأخذ بيد رب الأسرة للتركيز على مسؤولياته المباشرة وتقديم الأهم على المهم، فضلاً عن تقديمه على البهارج والكماليات الزائفة.

وكذا توعية نسائنا لدورهن في الحد من انتشار هذه الظاهرة، ومسؤوليتهن في حماية أنفسهن وأطفالهن من تبعاتها.

هذه نقاط وتساؤلات أضعها بين يدي القارئ على أمل أن تجد نصيبها الذي تستحقه من اهتمامه، ولينقلها لجلسائه مشفوعة بتعليقاته عليها بحسب اجتهاده ومتابعاته الشخصية.

الملاحظ أن مرتادي هذا النوع من السلوك باتوا يهربون للأمام من أي لوم وعتب، وذلك بأن صاروا يستخدمون لغة الهجوم في الرد على أي عتب يطالهم، إذ بلغ الأمر عند بعضهم حد اعتبار هكذا سلوك وانتشاره والدعوة له إحياء لسنة وترسيخاً لتشريع.

يعلّق أحدهم أنه يريد بمجاهرته تلك خلق قناعة متجاوبة مع هكذا تشريع إسلامي في المجتمع، وأن هناك حاجة لذلك بعد أن انتشرت ثقافة عرفية في الوسط الاجتماعي كلها امتعاض وسلبية من هذا السلوك الشرعي، وهو ما يتطلب منه وغيره من أرباب المتعة السياحية الإفصاح عنها والقيام بدور الترغيب فيها؛ لما في ذلك من إحياء لهذا التشريع كرد عملي على تلك النظرة الدونية لهذا التشريع.

ويستحضر لمستمعيه فتاوى لا ترى حرجاً في التمتع بذوات العَلَم (المومسات) وأن الأمر لا يعدو أن يكون مكروهاً فقط، وكل مكروه مباح!

الأكيد أن هكذا قناعة وتعميمها باتت مبرراً لبعضهم لارتياد أماكن اللهو والفجور والعياذ بالله؛ وهو إشكال يقفز عليه مروجو المتعة السياحية، ولا شك في حرمته لما فيه من دعم وتشجيع لهكذا أماكن مبتذلة، فضلاً عن حرمة ذلك شرعاً لما فيه من اطلاع على مفاتن لا تحل للمسلم، وكذا الجلوس في أماكن تستخدم فيها أدوات محرمة كالموسيقا المطربة والمشروبات الكحولية المعروفة؛ ومن المسلمات أن طريق المتعة السياحية لا يخلو من الوقوع في مخالفات شرعية واضحة سواء لهذا السبب أو ذلك.

وكذا يغيب عن أولئك حقيقة أن الاختلاط بوسط فاسق مدعاة لقتل الغيرة عند أفراد المجتمع، وهو ما ينعكس أثره في سلوكهم العام على المستوى الديني والأخلاقي والقيمي، وهو ما يُفسّر الموقف الشرعي المتحفظ على هذا السلوك حين نعته بالمكروه! وإلا لو كان مباحاً على إطلاقه، لما احتاج المشرع الإسلامي نعته بنعت مستقل خاص به.

والشارع المقدس حين يُشخّص عملاً بأنه مكروه؛ إنما يريد بذلك دعوتنا لعدم الانغماس فيه والتعود عليه، لأن استمراءه يعرّض المسلم لتبعاته، والتي في بعضها مضرة به على المستوى الخلقي والاجتماعي والصحي والمروءة العامة وغير ذلك.

وخلاصة القول بأنه لا يمكن فصل هذا السلوك عن تبعاته، والتي تأخذ بالفرد معها لارتكاب محرمات واضحة تؤثر على مروءته وأخلاقه والتزامه العام، وهو ما

ينعكس على المجتمع الذي يعيش فيه، فضلاً عن التبعات المادية المعروفة على الجانبين الاقتصادي والصحي وغيرها.

| نحتاجك بيننا |

12

حين أستفسر عن سر تغيّب بعض الأحبة عن ملتقياتنا الاجتماعية المختلفة، أجد إجابة متكررة عند معظمهم، فالواحد منهم عادة يقول: أشعرُ أني فارغ، وليس لدي ما أقدمه.

وكنت أُعلِّق بالقول: ومَن قال لك أننا نطلب منك اختراع صاروخ حتى نعُدُكَ منتجاً ومعطاءً؟!

ومَن قال لك أننا نحتاجك بمعيار معيّن ونفرضه عليك، ونحن بالأساس ذوو ذائقة مختلفة؟

ربما بعضنا يحتاجك لتُكثر جماعتنا، ويجدك في ذلك معطاءً لو حققته لنا، وربما بعضنا يحتاجك شاهداً على تعاطينا ومرشداً لانفعالاتنا، فحضورك يعزز حصانتنا ورقابتنا الذاتية لبعضنا، وربما بعضنا يحتاجك مؤمّناً لدعائنا.

إني لأعجب لبعض الأحبة حين ظنوا أن الطريق لعمارة الأرض حكرٌ لمتابعي النتاجات الفلسفية والفكرية والأدبية فقط، والواقع أن المعيار الأصدق لقياس مشاركة أحدنا في عمارة الأرض يُفترض قياسها بالأثر المباشر وغير المباشر الذي يُحدثه أحدنا، وربما ناشط في حدود أسرته بصلة رحمه أبلغ عطاء من مغترّ بعلمه حد الترف بالجدليات العالمية التي لا تغني عقلاً ولا تُسمِنُ بطناً ولا تُسعد روحاً،

وإنما هي دوران في حلقة مفرغة وزوبعة في فنجان محدود المساحة، ولا تلمس المجتمعات أثراً لها في واقعهم.

الطرقُ إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، وكل ما يُحيطنا إنما هو فرصتنا لعمارة الأرض من خلاله، فقد نعمِّرها بإماطة الأذى عن الطريق، وقد نعمِّرها بالسعي في قضاء حاجة إنسان، وقد نعمِّرها بإكثار جماعتنا وتحصين هويتنا بالحضور فيها والتواصل مع أفرادنا ومؤسساتنا.

| لا تمنعوا الماء! |

13

لا يختلف اثنان في أهمية الماء لحياة الإنسان، وسقايته للحيوانات والنباتات، فضلاً عن بني البشر مما تواترت الأحاديث الصحيحة التي تبرز فضله وتحث عليه وتبشّر فاعله بأجزل الأجر والثواب من رب العباد.

وإني لأعجب للمحلات التجارية والمطاعم التي تمنع الماء عن الناس حين تبيعه بسعر مبالغ فيه، فقد تبيع علبة الماء بأضعاف سعرها، وهي بذلك تبخل بالماء وتحبسه عمن يحتاجه بافتعال سعر مضاعف له، وربما اضطرّت بعض المحتاجين للماء لأن يشتروا نصف حاجتهم منه بسبب المغالاة في سعره، وخاصة لمن يعول عائلة.

هي دعوة لأن يلتفت المستثمرون الأغنياء في تلك المحلات، بأن ملاحقة كسب المال في سلعة الماء، إنما يُعتبر منعاً وحبساً له عن الناس، وما ضر لو زهدوا في الربح المضاعف المتحصل من بيع الماء فقط، وقبلوا بالربح المعروف والمقبول فيه كما في المحلات الصغيرة؟ والله يُحب المحسنين.

| رسائل ليلة القدر |

14

رغم أني لم أرسل مثل تلك الرسائل لأحبتي، والتي فيها التماس الدعاء وبراءة الذمة، ولكني أحتاج وجودها، بل أحتاج كثرتها، وممتن جداً لكل من أرسلها لي، فهي جزء من أدبيات هذه الليلة العظيمة القدر، ولولا هكذا مشاعر والتواصي عليها لاندرست الهوية والعاطفة الدينية التي تمثّلها قيمة هذه الليلة المباركة.

لذلك، شكراً لكل من أرسل لي رسالة يطلبني الدعاء له، ويسألني براءة ذمته، فلولا تلك الرسائل الكثيرة لما استشعرت الحاجة لأن أكون عند حسن ظن المؤمنين الذين يحفزوني بذلك الطلب، لأن أكون حيث يتوقعون مني في هذه الليلة.

شكرا لكم أحبتي، ولا حرمني الله من دعائكم وصفحكم، ولكم مني مثل ذلك وأكثر.

| حافظ على حياتك أولاً |

15

من المبادئ الأساسية التي يتعلمها الأطباء في طب الطوارئ، وبالذات في حوادث الطرق هي: حافظ على حياتك، ثم أنقذ حياة المصاب!

الكثير من الأطباء فقدوا حياتهم وهم ينقذون حياة مصاب، لأنهم ببساطة لم يلتفتوا قبل أن يعبروا الطريق السريع وهم ذاهبون لإنقاذ المصاب.

هذا ينطبق علينا أيضا، فلنساعد أنفسنا ونهتم بها أولاً، وهذا ليس أنانية، بل هو منتهى العقل والحكمة! فكم متحمّس لنجدة غيره، قد وقع فريسة لحماسته. فإما أن تكون الطريق آمنة بلا شبهات، وإلا فإن تجنبها أولى.

لا تهب لمساعدة غيرك قبل اطمئنانك لسلامتك من تلك المحاولة، وهذا نلمسه حين يحتار أحدنا في نصرة طرف عالق بمشكلة لها تبعات لا حصر لها، وخاصة القضايا الشخصية للغرباء، والتي يصعب ضمان صدقهم معنا في جميع تفاصيل مشاكلهم.

| تربيتنا مرجعية لأبنائنا |

16

في معايشتنا للأخطاء الأخلاقية التي يقع فيها الأفراد رجالاً ونساءً، نلحظ أن تلك الأخطاء تحصل من الكثيرين على تفاوت مستوى تربيتهم الأسرية، ونصدم من الأخطاء الفظيعة التي طرفها أبناء العائلات المحترمة، ولذا يكون مبرراً بروز إشكالية تقول:

ما دام لا يوجد عاصم من الوقوع في تلك النوعية من الأخطاء، فما فائدة تربيتنا لأبنائنا إذن ؟!

أليس المخطئون من الجنسين في أغلبهم قد بذل أولياء أمورهم جهوداً كبيرة في غرس المفاهيم الأخلاقية، وأخذوا بالأسباب لحمايتهم من المخاطر المحتملة، فأين ذهب ذلك الاستثمار التربوي فيهم ؟!

وهل ما بذلوه كان مضيعة لوقتهم وإفساداً لأعصابهم وهدراً لطاقاتهم وأموالهم؟!

أقول: الفرق بين الذي تربّى في أسرة طيّبة ونهل من مناهل أخلاقها، وبين الذي نشأ مهملاً من جانب أهله، وتربّى على أخلاقيات الشوارع العشوائية.

الأول لديه مرجعية أخلاقية يحن لها، ويرجع لها ولو بعد حين، والأخطاء التي تطرأ في حياته، لا يخلو إقباله عليها من تنبيهات نفسه اللوّامة التي تراجعه وتعيده

لمعدنه. وأما الآخر، فليس له مرجعية حسنة يحن إليها، ولذا يندفع في الأخطاء، ولا يكبح جماحه وازع من نفسه ولا من غيره.

ولذا فإننا كأولياء لأمور أبنائنا، واجبنا أن لا نبخس جهودنا حقها، فجهودنا تثمر في أبنائنا ولو بعد حين، وحصاد تربية طيّبة تبقى رواسبها مرجعية تشد أبناءنا إليها، فليس مقبولاً تعميم السلبية ونشر مفاهيم التثاقل في توجيه الأبناء وإرشادهم وتأمين وسائل حمايتهم، فجهودنا مدخرة في وعي أبنائنا، ويستحضرونها طيلة عمرهم وترشدهم وتحميهم.

| الرياء |

17

إذا كنت متواجداً في مواطن الطاعة العامة المعروفة كصلاة الجمعة والجماعة وإحياء ليالي القدر في المساجد وغيرها، وداهمتك خواطر تشكّك في نيتك وتقحم احتمالية وجود نسبة للرياء في عملك، فاعلم أنك في خير، وأن الشيطان يعمد لزعزعة تركيزك في الخير الذي أنت فيه.

وكن على يقين أنك لو كنت تعمل بالرياء حقاً، لما خطرت تلك الأفكار في ذهنك، فالمرائي لا يعيش صراعاً في تفسير دافع عمله، لأنه يعرفه ويستمتع به وكله تركيز معه، وهكذا تشخيص بعيد عن تحققه في مؤمن من أهلنا.

هي دعوة لأن يتسابق الجميع لمواطن الطاعة الجماعية تحقيقاً للمقاصد الشرعية، والتي منها أن تكون عبادة الله مشهودة ومعروفة وهوية جامعة.

| اليأس والإحباط |

18

لقد اطلعتُ على حالات قرّر فيها بعضهم ترك العبادات، وفي مقدمتها الصلاة، بحجة اليأس والشعور بالسلبية من أثر تأخر رزق عليهم أو طول مكثٍ لابتلاءٍ أصابهم، بحيث يستسلم الفرد لوساوس شيطانية ملخصها أن لا معنى لمداومته على العبادات ما دامت لا تحقق له تغيّراً إيجابياً في واقعه. وكما لو كان يمنّ على ربه بطاعته.

لا شك أن هكذا شعور ناتج عن ضعف الإيمان بالله تعالى، وهو محصلة لسوء الفهم وضيق الأفق في تقييم الأحداث.

وقد ذكر القرآن الكريم حال أولئك، فقال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ** ﴾، وقد أوضح الباري ﷻ الهدف من ابتلاء الناس بقوله: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾.

يجب علينا استحضار حقيقتين عند الوقوف على أي حدث يُصيبنا:

- الأولى: لا يختلف مسلمان في أن كل ما يجري علينا من أحداث إنما تتم بعلم الله تعالى وتقديره وإرادته.

○ الثانية: تنزيه المسلم لربه من الظلم والعبث، وأنه سبحانه ذو فضل عظيم وحكمة بالغة ورحمة واسعة وقدرة مطلقة.

وقد أكرم الله عباده بأن جعل كل ما يُصيبهم من صنوف الابتلاءات كفارة لذنوبهم لتطهيرهم وتزكيتهم في هذه الحياة الدنيا قبل حساب الآخرة وأهوالها[1].

والمؤمن يستشعر مع هذه الحقيقة فضل الله وإحسانه عليه إذ وفّق له تمحيصاً لذنوبه وأخطائه في حياته الأولى، ليفد على ربه يوم القيامة وقد رجحت حسناته على سيئاته فيفوز برضوان الله وجنته، وهناك فقط يكون الفوز المبين.

قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾، وقال تعالى: ﴿ **مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً * كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً** ﴾.

هاتان الحقيقتان تذهبان بالمؤمن إلى استحضار الرعاية الإلهية في جميع أحواله، وهو ما يجعل قلبه عامراً بالطمأنينة والاستقرار. وكان حاله سيتبدل إلى النقيض إذا

(١) قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا أذى ولا حزن ولا همّ، حتّى الهمّ يهمّه، إلا كفّر الله به من خطاياه ».

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: « المرض للمؤمن تطهير ورحمة، وللكافر تعذيب ولعنة، وإن المرض لا يزال بالمؤمن حتى لا يكون عليه ذنب ».

ما شعر أن أمره موكل إلى غير الله ممن لا يثق في سلوكه وحكمته، ولديه شك في قدرته وعدله ورحمته.

ولأن الباري ﷻ مطلع على حقائق الأمور وعواقبها، وهو المتصرف بها، فإن التوكل عليه والتسليم بأمره مما يثبته العقل السليم. ولا شك في أن تقييم أحدنا للأحداث يشوبه النقص وعدم الدقة، لأن مصدره (مخلوق ناقص) لا علم له بعواقب الأمور لقصوره عن إمكانية السيطرة على جميع الأطراف المشتركة في الأحداث حاضراً ومستقبلاً.

وهنا نسأل أيضاً: هل تأخر رزق ما مبرر للسخط على الله سبحانه وسوء الظن به مع جهلنا بعاقبة الأمور ؟!

وقد أجاب الباري ﷻ على هذا السؤال بقوله: ﴿ **وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾.

هذه الآية أثبتت حقيقة أن ما يدفعه الله سبحانه وتعالى عن المخلوق من أمرٍ ظاهره خير، إنما جرى لعلمه تعالى بعاقبة الأمر التي قد تكون شراً للمرء إن لم يدفعه عنه، والعكس صحيح.

والشواهد من واقعنا المعاش متواترة في ذلك، وهي تثبت أن استعجال الرزق في بعض الأمور لم يكن صائباً، وأن الخيرة كانت في غير ما كنا نأمل ونتوقع، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

ولـــــرب نازلـــــة يضـــــيق بهـــــا الفـــــتى

ذرعـــــاً وعنـــــد الله منهـــــا المخـــــرج

ضـــــاقت، فلمـــــا اســـــتحكمت حلقاتهـــــا

فُرجـــــت، وكنـــــتُ أظنهـــــا لا تفـــــرج

ليس حتمياً أن ظفرَ أحدنا بوظيفة معينة يعني تحقق طموحاتنا وآمالنا منها مستقبلاً؛ وقد غاب عنا أنها ربما تكون باباً لمفاسد لا نعلمها، فقد تنقلب الآية بأن تكون مدخلاً لتكالب الفتن والمصائب علينا مِن أثر التواصل بالأطراف الأخرى ذات العلاقة بوظيفتنا، وإن بعد حين.

وليس صحيحاً أن تأخر زواج فتاة يعني نهاية المطاف في حياتها، وإلا كيف نفسّر وجود حالات الطلاق، ونعت بعض المتزوجات لعلاقتهن الزوجية بالجحيم الذي لا يُطاق!

لذا ليس بالضرورة أن يكون الزواج من رجلٍ مدخلاً للسعادة والاستقرار النفسي والاجتماعي؛ كما أنه ليس صحيحاً أن عقم أحدنا يعني سلبية من ربنا تجاهنا، وإلا كيف نفسّر حسرة بعض الآباء وندمهم على إنجاب أولادهم العاقّين الذين أصبحوا مصدراً للكثير من البلاء الذي حلّ بهم!

هذه الأمثلة وغيرها مما نعرفه مِن أحداثٍ واقعية تحتاج منا استحضار ما نجهله من عواقب لأي أمر، وبالتالي لا مبرر لقطعنا باليأس والجزع لتأخر رزق علينا أو طول مكثٍ لابتلاءٍ أصابنا.

وهنا وُجدت الحاجة للاستخارة التي يستعين بها المؤمن على قضاء حاجاته وكله ارتباط وتوكل على الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** ﴾.

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى لنا مثلاً في نبيّه أيوب عليه السلام الذي لم يزده بلاؤه إلا قرباً من ربه وكله تسليم بقضائه، فلا ملجأ مِن الله إلا إليه، هكذا كانت قناعته، وقد كسب رهانه على ربه حين أحسن الظن به، ولم يقنط ويجزع. فلا ييأس من رحمة الله إلا الكافر الجاحد، ﴿ **وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾.

والأكيد أن اقتراب المؤمن مِن ربه يُمكّنه من كشف الحجب والأسرار له، بحيث يكون محط ألطاف الله سبحانه وتعالى، فإذا ما توثقت عرى المحبة بين العبد وربه، فاز العبد بسعادة الدنيا والآخرة، فقلبه يصبح نقياً وروحه صافية وطاهرة وتفكيره صائباً وأعماله موفقة وإرادته قوية، هذا كله في الدنيا.

أما في الآخرة فلا يمكن وصف ما يناله من خير وسعادة؛ ففي الحديث القدسي، عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ أن الباري جَلَّجَلَالُهُ قال:

« ... وما تقرّب إليّ عبد بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن موت المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته » رواه البخاري.

هذا الحديث يؤكد الحاجة للمزيد من القرب مِن الله تعالى بفعل الطاعات والصبر على البلاء للفوز بالسعادة الحقيقة، وليس التجاوب مع وساوس الشيطان المثبِّطة والركون إليها، والتي لا تورد إلا الخسران المبين.

قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾، وقال سبحانه: ﴿ **وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾، وقال تعالى أيضاً: ﴿ **فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾.

الواجب على المؤمن إذا ما ألمت به ضائقة أن يستغلها في المزيد من القرب والتضرع لله سبحانه وتعالى، فهو القادر وحده على دفعها عنه، وإن تأخر دفعه لبلائه، فذلك لعلمه سبحانه بعاقبة الأمور، وأن صلاح الأمر فيه، وذلك مع تسليمنا بتنزيه ربنا عن الظلم والعبث، وقطْعِنا بأن ما يصيبنا من همٍ وغمٍ وسقمٍ وحزنٍ في هذه الحياة الدنيا إنما يُحسب لصالحنا بأن يكون ذلك كفارة لذنوبنا وتزكية لأعمالنا.

| الوسواس الشيطاني |

19

إنها مرحلة المراهقة والشباب وما تتسم به من اندفاعٍ وإقبال على الحياة نرى أثره في نشاط الفرد هنا وهناك، ففيها تتحدد ميوله التي يُفرِّغ فيها اجتهاداته. فالتدين والإقبال عليه سيرة متأصلة عند شبابنا في هذه الفترة، ليس فقط تحت تأثير توجيهنا لهم، بل أيضاً لحاجتهم لوعاء يحتضن جهدهم وطاقتهم ويُشعرهم بدورهم ويُحقِقون من خلاله ذاتهم.

والمتدينون الرساليون في مجتمعنا يوفرون ذلك لفئة الشباب، من خلال تبنيهم للفعاليات المختلفة التي يلمس أولئك الشباب مدى إيجابيتها ونجاح تلك الفعاليات في الجمع بين قناعاتهم العقدية وتلمس خدمة مجتمعهم الذي ينتمون إليه.

المهم إننا نجد بعض الشباب وهم في غمرة عطائهم ونشاطهم وقد اعترضهم عارض الوسواس الشيطاني.

مثال ذلك: هل لاحظتم تغيّب بعضهم عن صلاة الجماعة في المسجد ؟! هل لاحظتم تغيّب بعضهم عن المشاركة في إحياء هذه الفعالية الدينية أو تلك ؟! هل... ؟ هل... ؟

بعض الشباب ذكوراً وإناثاً أصبحوا مرتهنين للعادة السرية بحيث يتملكهم شعور بصعوبة دفعها عن أنفسهم، وكما لو أصبحت قدراً محتوماً عليهم؛ فتجد

بعضهم وقد تخلَّف عن أداء صلاة الجماعة في المسجد مع الناس، أو أنكفأ على نفسه ومنعها من المشاركة مع الآخرين في الأنشطة الدينية والاجتماعية المختلفة؛ وسبب ذلك أن الشيطان يأتيه في صورة (ضمير حي) يحاوره في قناعاته وسلوكياته، كأن يقول للشخص:

أنت منافق وتعمل بالرياء!

والله لا يقبل منك أعمالك أبداً، فأنت تفعل العادة السرية القبيحة، وفي نفس الوقت تذهب لصلاة الجماعة أمام الناس، وتتصدر الصفوف فيها، إنها مظهر من مظاهر الرياء، إنه النفاق ذاته. كيف لك أن تجمع بين هذين الفعلين ؟!

واضح أنك لا تستحي من الله؛ إذ لا يعرُق لك جبين من قبيح ما تفعله، فعليك الآن إما التوقف عن تلك العادة أو ترك صلاة الجماعة، فلا منطق لاستمرارك في الجمع بين الفعلين.

الشيطان يعلم مسبقاً مدى تمكن تلك العادة عند بعض الشباب في زمن استأسدت فيه الشهوات حين كثرت فيه المغريات وضعفت فيه الإرادات، مما يجعله يعمد إلى تضخيم إثمها وقبحها عند الله سبحانه في ذهن الشاب، وذلك لردعه عن الاستمرار في التدين وما يصاحبه من سلوكيات إيجابية.

لاحظوا مدى خبث الشيطان في هذه النقطة، وكيف يلعب على الحبلين؟! فمن جانب يحث الشاب على التفاعل مع شهواته، ومن جانب آخر يعمد إلى استغلالها لإبعاد الشاب عن ربِّه، بحجة تمكّن تلك الشهوات منه.

الشيطان هنا ينزغ للشاب بأنك إما أن تكون مؤمناً ١٠٠ % أو أن عليك ترك كل مظاهر التدين والالتزام حتى لا تكون منافقاً.

بعد هذه الوسوسة الشيطانية نجد الشاب وقد حزم أمره بترك صلاة الجماعة مع الناس ليكتفي بأدائها منفرداً في منزله، بحجة أنه لا يريد لنفسه الرياء والكذب والنفاق مع ربِّه، وكأنه بتركه صلاة الجماعة سيكون مثالياً.

ولا يتوقف مكر الشيطان عند هذا الحد، بل يواصل مكره لاجتثاث الشاب من كل العبادات، وذلك بأن ينزغ للشاب من جديد ويقول له: كيف لك أن تؤدي الصلاة وتقف فيها بين يدي ربّك، وأنت في مكان آخر تعصيه بالجرم المشهود منه؟

كيف لك أن تحدد وقوفك بين يديه في كل يوم وأنت تعصيه؟! وكيف.. وكيف... أما تخجل من ربِّك ؟!

ويستمر الشيطان في وسوسته تلك التي تستعر أكثر كلما فعل ذلك الشاب تلك العادة التي تمكّنت منه.

ثم لنجد الشاب وقد استسلم لوسوسة الشيطان بأن قرر ترك الصلاة والعياذ بالله، أو يُقبل عليها بتثاقل فظيع وكله سوء ظن بربِّه.

للأسف الشديد يبلغ الأمر أحياناً بشبابنا أن يفكروا في ترك الصلاة التي تحمل رمزية خاصة في صلة العبد بربه في الإسلام.

إنه بعض كيد الشيطان الذي لا يدخر جهداً في صرف شبابنا عن عبادة الله سبحانه، ومن ذلك استغلاله بعض الذنوب لمحاربة كل بقايا الخير والصلاح عندهم.

أقول لكل شاب أو فتاة وقع فريسة لذنب هنا أو هناك:

إن الحسنات يذهبن السيئات، وإن الحسنة بعشر أمثالها عند الله تعالى، وأن ما لا يدرك كله لا يُترك جلّه، فالصراع بين الحسنات والسيئات يُفضي إلى غلبة الحسنات بالتأكيد، ليس لأن كل حسنة بعشر أمثالها فحسب، بل لأن فعل الحسنات فيه استجابة لقناعاتنا ومعتقداتنا الحقة ما يُفضي إلى تغلبها في نهاية المطاف.

لذا فإن مداومتنا على اكتساب الحسنات بالأعمال الصالحة، له أثر ملموس في تقريبنا من الله زلفى. والاستسلام للذنوب دون فعل ما يُنافسها من أعمال صالحة، يستدرجنا بالتأكيد إلى البُعد عن الله سبحانه، ومن ثم خسارتنا للدنيا والآخرة.

ليس صحيحاً أننا نريد جيلاً من المعصومين، فذلك من الاستحالة بمكان تحقيقه، ولكننا نريد تنشئة جيل كله غيرة وحرية وأنفة، فالحر إذا ما ارتكب ذنباً أو تقصيراً بحق أحدهم، نجده وقد دفعته حريته ونفسه الكبيرة إلى التكفير عن ذلك الذنب بزيادة القرب من الطرف الذي أساء بحقه للفوز برضاه، وليس الانكفاء على الذنب والاستمرار فيه، فكيف إن كان الطرف الذي قصّرنا بحقه هو الله سبحانه وتعالى؟!

المنطق يقول: إن ذنوب أحدنا إذا ما حدثت منه، يُفترض أن يُتبعها بمزيد من فعل الطاعات ليمحو بها السيئات التي صاحبت فعله لتلك الذنوب.

وبقطع النظر عن أية أمور جانبية، فصلاة الجماعة وتقدم الصفوف فيها ليست إلا طاعة يُحبها الله ويُثيب عليها الثواب الجزيل، والوقوف في قلب الفعاليات أو ميمنتها أو ميسرتها ما هي إلا طاعة يُحبها الله ورسوله والمؤمنون.

قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾.

نعم.. لا نقنط من رحمة الله أبداً.

هل قرأتم دعاء كميل ؟!

ألم تلحظوا سمة من سماته البارزة وهي حسن الظن بالله تعالى؟

ألم تلحظوا فيه عمق العلاقة بين العبد وربه؟

« يا إلهي وسيدي وربي، أتراك معذبي بنارك بعد توحيدك، وبعدما انطوى عليه قلبي من معرفتك، ولهج به لساني من ذكرك، واعتقده ضميري من حبك، وبعد صدق اعترافي خاضعاً لربوبيتك، هيهات أنت أكرم من أن تضيِّع من ربيته، أو تبعِّد من أدنيته، أو تشرِّد من آويته، أو تسلِّم إلى البلاء من كفيته ورحمته.

وليت شعري يا سيدي وإلهي ومولاي أتسلط النار على وجوه خرّت لعظمتك ساجدة، وعلى ألسن نطقت بتوحيدك صادقة، وبشكرك مادحة، وعلى قلوب اعترفت بإلهيتك محققة، وعلى ضمائر حوت من العلم بك حتى صارت خاشعة،

وعلى جوارح سعت إلى أوطان تعبدك طائعة، وأشارت باستغفارك مذعنة، ما هكذا الظن بك.. ».

| النكاح رّق |

20

الهدف من نشر هاتين الرسالتين، هو الوقوف على نموذج حي لبعض المطالب الإنسانية للمرأة في مقابل زوجها، وأيضاً في مقابل أهلها من واقع حادثة حقيقية حصلت أحداثها لإحداهن، فقد أرسلت لي سيِّدة تطلب مني مساعدتها في صياغة خطاب توجهه لوسيط يسعى للوساطة بينها وبين زوجها بعد خلاف حادٍ حصل بينهما، وقد ذكرت لي بعض التفاصيل التي تريدني تناولها في رسالتها.

وهذا نص الرسالة التي أعددتها لها:

السيد: ..... المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله الذي باهى بآية من آياته، أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، والذين ندبوا إلى الزواج حفظاً للمجتمع من الرذيلة، ومُلتقىً للأرواح الطاهرة، ومدرسة تربوية لصناعة الأجيال القوية المؤمنة.

أشكركم ابتداءً على مساعيكم الخيّرة لرأب الصدع بين مؤمِنين أخذتهما الأحداث إلى خلاف طارئ.

قال تعالى: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾.

لا شك أن وصول العلاقة الزوجية إلى خطوة التباعد والتنافر فيه دلالات واضحة على وجود خلل في مسيرتها، أدى إلى خروجها عن مسارها الطبيعي، وهو ما يلزم معه العودة للقواعد الأساسية التي تنظم أساس علاقتهما تلك، وذلك لقياس أداء طرفي العلاقة، وتحديد مواطن الخلل لإصلاحها.

وهنا أهمية الجلوس للمراجعة، لتأخذ فعلها في التذكير بالحقوق والواجبات، وتحديد الضمانات التي تكفل عدم تكرار الأخطاء السابقة، وذلك بأن تكون هذه المحطة التي نراجع فيها تفاصيل حياتنا نقطة انطلاق إلى الأفضل.

وحتى يتحقق ذلك، يلزم استحضار صدق النية والتواضع من جهة، ومستوى رفيع من الشجاعة والمروءة والحكمة من جهة أخرى، وهذا الكلام لي ولغيري.

ولأني طرف في هذه القضية، فلا بد من تحديد الثوابت الأساسية التي أراها ضرورية لبلوغ أي حل محتمل؛ ومنها: ضرورة استحضار وجود الرعاية الإلهية لهذه العلاقة، فليس من مبرر لاستمرار هذه العلاقة إن لم تقربنا أكثر إلى الله سبحانه وتعالى، فكم يحزنني أن يتخاصم مؤمنان! ويضطر أحدهما للقدح في الآخر، والانتقاص من صواب قوله وفعله، حتى أصبحت هذه العلاقة مقرونة بالشحناء والتطاحن.

لنسأل أنفسنا هذا السؤال: ما هي القيمة الحقيقية لهذه العلاقة ؟!

أليست قيمتها في مدى استثمار كل طرف منا هذه العلاقة للقرب أكثر إلى الله سبحانه من خلال ما توفره هذه العلاقة من جو مساعد على طاعته، وذلك من خلال ما تحدثه من أثر إيجابي في حياة أحدنا؟

قال تعالى: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾.

واجبي الشرعي والأخلاقي أن أقي نفسي وزوجي ناراً سجّرها خالقها لغضبه، فكم يحز في نفسي أن أجد علاقتي هذه مصدر آثام وذنوب لأحدنا أينما وجهت بصري، فكم هو مؤلم أن تضطر سيِّدة مثلي للإفصاح عما يدور في خدرها أمام طرف خارجي. وماذا عساها أن تفعل إذا ما أخذتها الآلام بعيداً عن بيتها وبعلها وأبنائها؟!

إن وصول خلاف ما مرحلة أن تبوح سيِّدة مخدرة ببعض أسرار خدرها لطرف خارجي، لمؤشر خطير يستحق وقفة مطوّلة عنده بنظرة فاحصة.

ولذا أرى ضرورة استحضار وجود الرعاية الإلهية في تقييم مدى حكمة استمرار هذه العلاقة من عدمها.

ويلزم هنا أن نضع شروطاً يجب استيفاؤها لنضمن أن تكون هذه العلاقة قاعدة صلبة للفوز برضا الله سبحانه لنا جميعاً، وذلك يتم من خلال (الإقرار)

وبعبارات صريحة الدلالة من الطرف الآخر بتجاوزاته بحقي على المستوى الشخصي.

ولست أطلب ذلك انتصاراً لشخصي في مقابل النيل من مكانته وشخصه، ولكني أطلب ذلك لأدفع بزوجي إلى مراجعة سلوكه والتواضع أمام أخطائه.

إقرار زوجي بأخطائه وتجاوزاته على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لي، فهل من العقل والمنطق أن أعود للعيش مع طرفٍ لا يعترف صراحة بما وقع عليّ من ظلم وغبن تحت يده.

إذن.. عن أي إصلاح تتحدثون، إن لم يقم هذا الإصلاح على أساسٍ من وضع الأصابع على الجراح ابتداءً، ثم العمل على تضميدها آخراً؟! وتضميد جراحي يكون بالاعتراف بوجودها أساساً، ومن ينكر وجود جراحي أو ينتقص من ألمها وأهميتها، فلستُ على استعداد للجلوس إليه.

ومن أمثلتها: مسألة لجوء زوجي لضربي ! هذه المسألة غير قابلة للنقاش مطلقاً؛ ولا أسمح لأي طرف مهما علا مكانة وفضلاً أن يحاول التبرير لمثل هذا السلوك الشائن والمخزي، فهذا السلوك يتنافى مع كل مقومات المروءة، وليس أمام الطرف الآخر إلا الاعتذار عن هذا السلوك، والتعهد بعدم تكراره مستقبلاً.

واللهِ.. إن الرجل الحر لتأخذه مروءته إلى استقباح الاعتداء على النساء، وهذا أبو جهل نفسه؛ وهو أحد رموز المشركين، حصل منه أن صفع أسماء بنت أبي بكر على وجهها حتى سقط قرطها يوم الهجرة، وبعد أن تركها ومشى بضع خطوات،

شعر بخِسّة ما فعله، وجرم ما ارتكبه، فالتفت يميناً ويساراً متحسِّساً خجله من نفسه، وإذا به ينتفض في وجه مرافقيه، قائلاً لهم: اكتموا عليّ، فلا تتحدث العرب أن عمرو بن هشام قد رفع يده على امرأة.

الله أكبر.. هذا كان من أمر أبي جهل، فقد خجل من افتضاح ضربه لفتاة بين العرب لاستقباح ذلك الفعل عندهم.

أما زوجي فيُجاهر بضربه إياي، ويتهدّد بالمواصلة في ذلك بمرأى ومسمعٍ من عشيرتي وقومي، فمالكم كيف تحكمون ؟!

وقد روي عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، أنه قال: « النكاح رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته ».

أنتم مخطئون، إن ظننتم أن سيّدة حرّة يمكن أن تقبل العيش تحت سقف لا يتورع بعلها عن ضربها والامتهان من كرامتها وعزتها فيه.

ولست أطلب المستحيل إن طلبت حقي في احترام شخصي، وذلك من خلال الالتفات لمشاعري وأحاسيسي بمراعاتها وأخذها في عين الاعتبار من قبل الطرف الآخر، فلا يُعقل أن ينال زوجي من إمكانياتي الخَلقية في الوقت الذي يثني على إمكانيات نظيراتي في الخَلق انتقاصاً لشخصي، فالمجاهرة أمامي بمفاتن نساء المؤمنين الأخريات فيه تحدٍ واضح الدلالة ورغبة سيئة في التحقير من شأني ومكانتي، هذا فضلاً عن كونه سلوكاً منافياً للمروءة من جهة، ومخالفاً للتعاليم الشرعية من جهة أخرى.

هذان مثالان، وغيرهما كثير، فالجراح أكثر مِنْ أن تحصى، والواحد منها أعمق من سابقه.

هل هناك فرصة حقيقية لأن تكون هذه العلاقة عامل قربة أكثر لله لطرفي العلاقة؟!

هل لدى الطرف الآخر الاستعداد الكامل ليكون حراً؟!

هذا ويعلم الله العلي العظيم، أني في هذه الفترة التي انقطعت فيها عن زوجي، جلستُ مع نفسي جلسة مراجعةٍ مطوَّلة، أستجمع فيها تفاصيل حياتي معه، وتوصلتُ لقناعة ملخصها، بأن حياتي معه والآثام المصاحبة لها تذكرني بكرة الثلج التي تكبر كلما استمرت في الدوران.

نعم.. أصبحت حياتي معه كتلة من الذنوب والمعاصي تزداد كلما استمرت هذه العلاقة، وذلك من أثر استمرارها في جو من التشاحن والتباغض، وهو ما يأخذ بطرفي العلاقة إلى ارتكاب المزيد من التجاوزات بحق بعضهما.

وأنا هنا، ومن واقع تفكير عميق، أرى ضرورة اللجوء إلى خطوة الانفصال لوقف زيادة تلك الآثام والذنوب ما لم يتأكد لي وبالدليل القاطع استعداد الطرف الآخر لمراجعة سلوكه، ومن ثم تغييره، بحيث نضمن أن تأخذ بنا هذه العلاقة في حالة استمرارها لمساعدة بعضنا في الفوز برضا الله سبحانه وتعالى، وإلا لا مبرر لاستمرارها أكثر.

أما عن أطفالنا، فإن الانفصال إذا ما حصل – لا سمح الله–، فقد يكون فرصة لهم للفوز بحياة أفضل بعيداً عن المشاكل، فهل من الحكمة استمرار عيشهم في كنف أسرة يحكمها جو من البغضاء والشحناء؟!

ماذا تنتظرون من مستقبل لأطفال يرون أباهم يعتدي على أمهم بالضرب أمامهم؟!

بقي أن أشير هنا إلى أن طردي من بيت زوجي، وبذلك الأسلوب المهين المشحون عنفاً جسدياً ولفظياً، فيه تحدٍ واستفزاز لعائلتي، لذا كان من الطبيعي أن تأخذ أفراد عائلتي (حميّة الأحرار) ويجتمعون حول كريمتهم.

واللهِ.. إن الحر إن لم تتحرك فيه نوازع الحميّة في هكذا موضع، فلأي موضع يدخر حميّته.

أردت من هذا القول، أن أرد على كل مَن يُحاول التقليل من حجم معاناتي ووقعها الطبيعي على أهلي، وأن زوجي حين لجأ إلى طردي المصحوب بالاعتداء الجسدي واللفظي كان بذلك الفعل يجرهم إلى موقع (ردة الفعل)، فما لكم كيف تحكمون؟! ضربني وبكى، ثم سبقني واشتكى.

بلى.. فقد ضربني زوجي ابتداءً، ثم أخذ يشتكي من ردة فعل أهلي على ضربه لكريمتهم لاحقاً.

إن الاعتداء على سيّدة عزيزة يتبعه بالتأكيد ردة فعل من جانب قومها وعشيرتها، فزوجي حرّك أهلي بإرادته إلى الموضع الذي اضطرهم معه إلى استنفار

حميّتهم للدفاع عن كريمتهم باللجوء إلى الجهات الرسمية، ليس بقصد إيذاء الآخر، حاشاهم أن يقصدوا أذية طرف هنا أو هناك عبثاً أو لهوى في نفس أحدهم، بل حرّكهم لذلك استشعارهم بعظم الجريمة التي ارتكبها زوجي بحق كريمتهم.

ولا مقارنة بين عِظم وفداحة (جريمة زوجي حين لجأ لضربي) وبين (ردة فعل أهلي)، فضرب زوجي لي، فضلاً عن أنه اعتداء عليّ، هو أيضاً سلوك مُدان شرعاً، فلم أرتكب ما يجيز له الاعتداء عليّ، فأنا عزيزة بعزة الإسلام لي حين أحاطني بحقوق كثيرة تحفظ لي كرامتي وتبرز أمام الناس مكانتي.

وأما لجوء أهلي إلى الجهات الرسمية، فما أظنه إلا سلوكاً مباحاً شرعاً وعقلاً، هذا فضلاً عن أنه سلوك سلمي فيه احتكام لجهة مختصة للفصل في أمرٍ من اختصاصها، فما لكم كيف تحكمون؟!

وهنا أجدها فرصة لاستنكار الكثير من التجاوزات التي صدرت من زوجي تجاه أهلي، وخاصة تطاوله المتكرر وجرأته الملحوظة في الحديث عن (والدي وأخوتي) بالسوء دون احترام لمكانتهم مني وكونهم صلة رحمي وأولياء نعمتي.

لا أعرف كيف لأحدٍ أن يبرّر مثل تلك التجاوزات حين تصدر من (شيخٍ) تجاه أهل زوجته وأطفاله، هل غاب عنه واجب احترام الكبار (والدي وأخوتي)؟! أم هل غاب عنه أنه بفعله ذلك ينال من أهل أبنائه؟!

كان بتطاوله على (والدي وأخوتي) يُتابع سلسلة تجاوزاته بحقي، بأن يستمر في النيل مني من خلال الإساءة لأهلي، ويؤذيني ما يؤذيهم، فنحن بحمد لله في

توادنا وتراحمنا كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

وأنا هنا، لا أمنعه من الرد على أي إجراء يصدر من أهلي بحقه، ولكني أطالبه بأن يحفظ لأهلي ما يليق بمكانتهم مني ووجوب احترامهم وتقديرهم، فأين زوجي عن ذلك؟!

يجب أن تكون هذه الوقفة محطة للتصحيح إلى الأفضل إن شاء الله. أما إذا كان يُراد لها أن تكون جزءً من حلقة متصلة من التجاوزات وإصلاحها، فما عدتُ مستعدّة لتحمل المزيد من الذل والمهانة تحت سقف أي طرف.

وكفى بالله حكماً بيننا يوم يجتمع الخصوم عنده، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

٢ مايو ٢٠٠٥م

وقد طلبت مني لاحقاً كتابة رسالة توجّه لأخيها الأكبر، ليساعدها في حل القضية وفق مطالبها التي ضمّنتها في الرسالة الموجهة له:

أخي العزيز السيِّد: .....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

لا أخفيك أخي العزيز، فقد فاضت هذه الأزمة بحسنات، ومنها استشعاري لأهمية صلة الرحم التي تجمعنا، فقد أتاحتْ لي فرصة القرب منك ومعرفة معدنك الأصيل وغيرتك عليّ، فهذه وقفة إجلال وإكبار لجهودك الطيّبة في نصرتي طيلة الفترة الماضية، فقد تحرّكت فيك (حميّة الأحرار)، واجتمعتَ حولي تدفع الضر الذي أصابني ما استطعت إلى ذلك سبيلاً بالرأي السديد والعمل الحكيم.

يعلم الله أني أزهو فخراً بموقفك هذا، ليس فقط لأنه موقف نصرة لي، بل لأنه يلبي قناعة بداخلي في بني هاشم، فبنو هاشم عُرف عنهم شدتهم وحميّتهم وغيرتهم على كريماتهم.

كانت القضية في جانبٍ منها اختباراً لمكانتي عندك عزيزي، فقد لمست حرصك وتفانيك في البحث عن مواطن المصلحة هنا وهناك. أما وقد نجحتَ في هذا الاختبار بامتياز، فإن نجاحك يُحفزني لمزيد من التواصل معك، وذلك لثقتي في إخلاصك ورغبتك الأكيدة والصادقة في إحراز مصلحتي الشخصية، وتُحرِّك في ذلك محبتك لي وحرصك عليّ.

أخي العزيز..

كلي طمع في نُبلِكَ الهاشمي، لتأخذني بلطفك وإحسانك وتستمع لهذه الكلمات التي أُسِّر بها لك، فكما تعلم، أني المعنية المباشرة بالقضية، لذا كم يُحزنني أن أجد القضية تتجاذبها بعض الأطراف بدوافع شخصية بعيدة عني، حتى بلغت القضية بالنسبة للبعض مرحلة حرجة كلها تصفية لحسابات شخصية، وعميتْ أعين بعضهم عن نتائج تلك التصفيات عليّ شخصياً وأطفالي.

مخطئ من يظن أني يمكن أن أعود لزوجي دون إحراز رضا أهلي الذين هم سندي وذخري، فأنا أعلمُ عِلمَ اليقين، أن عودتي لزوجي إذا ما تمت دون رضا أهلي فيها إضعاف لموقفي أمامه، فسأكون حينها مكشوفة الظهر بلا مدافع غيور عني، وهو ما يمكن أن يستغلّه ليتمادى أكثر في الإضرار بي – لا سمح الله –، فأنا بحق وبصدق لا آمن جانبه إذا ما خلّيتم بيني وبينه دون وقفتكم الصلبة معي.

أعرف أنك تقرأ في كلامي شيئاً من التناقض، وليس به تناقض في الواقع.

أنا لا أريد لأحد أن يقرّر نيابة عني، ولكني في المقابل، لا أريد أن أكون في موقعي التفاوضي بدون وسائل ضغط فاعلة وذات جدوى، وأبرز وسيلة ضغط أستقوي بها، هي ردة فعل أفراد عائلتي وغضبتهم، وكيف أنهم يجتمعون إليّ، وكلهم حماسة منقطعة النظير في نصرتي وذب الأذى عني.

أريد أن أستخدم (غضبة أهلي) لصالح موقفي التفاوضي، وليس العكس! فلا أريد أن أكون أسيرة لغضبة الأهل؛ بل أريد الاستفادة من تلك الغضبة لتحقيق مكاسب تُعزز مصلحتي وأطفالي في تأمين مستقبل أفضل لنا.

فمهما كانت (غضبة أهلي) مُحِقّة وصائبة، فلا قيمة لتلك الغضبة إن لم تتم إدارتها بوعي وحكمة، وصولاً لبلوغ الهدف المنشود المتمثل في (مصلحتي وأطفالي).

لست هنا لأطلب الكثير، فقط كل ما أطلبه:

١. تسليم الجميع بحقي في اتخاذ القرار النهائي في هذه القضية، والتي هي قضيتي بالدرجة الأولى، وهذا يستلزم منحي ثقتكم، فكم يُؤلمني أن يُزايد بعضكم عليّ في قضيتي، حتى أصبحتُ أرى قضيتي تتحرك يمنة ويسرة دون الرجوع إليَّ.

٢. منحي الثقة والحق في اتخاذ القرار النهائي، يستلزم معه استصحاب محبتكم لي مهما كانت نتيجة قراري، فلا يُعقل أن يهدّدني أحدكم بتجاهل صلة رحمي بكم إن لم أوافقه رأيه واجتهاده.

لا أخفيك، هذا يؤلمني جداً، رغم ما أعلمه من حرص الجميع على مصلحتي. لكنّ أية إدارة لقضيتي، يتم فيها تجاهل حقي في إدارتها، تبقى تصرفاً مجرداً من الشرعية، فضلاً عن أن أي تصرّف مستقل فيه تشتيت للجهود، وبالتالي إضعافها.

مِن جانبي، أجدني حريصة كل الحرص على جمعِ كل الجهود خلفي في موقف موحّدٍ يُدار بتوافق الجميع عليه، وهذا لا يمكن أن يتحقّق دون استحساني الشخصي لأيِّ تحرك، وذلك باعتباري المعنيّة المباشرة بالقضية.

هذه النقطة على درجة من الأهمية بالنسبة لي، فأنا أدرك أهمية صلتي بأهلي ومكانتي بينهم، ومدى حاجتي لرضاهم سواء لأمر ديني أو دنياي، وهنا أقسم

عليك أن تبذل جهدك في استنكار أيّ عبارات من هذا القبيل يمكن أن تصدر من أي طرف للضغط عليّ لاتخاذ قرار معين، فهذا الأمر فيه استفزاز لي، فضلاً عن أنه ينتقص من مكانتي عندكم، فحاشاكم أن ترهنوا مكانتي عندكم وصلة رحمي بموقفٍ اجتهادي هنا أو هناك.

لستُ أطلب الكثير إن طلبتُ تجنيبي وأطفالي بعض الضغائن الشخصية الجانبية بين زوجي وأحدكم، فجوهر القضية هي خلافي مع زوجي، وأيّة إفرازات أخرى يجب وضعها في حجمها الطبيعي كتبعات لإسقاطات شخصية مُسبقة كانَ أنْ وجدتْ فرصتها في هذه القضية، ومن ذلك دعوة أبي – حفظه الله – إلى الحل الرسمي المتمثل في اللجوء إلى محكمة شرعية للبت في الأمر.

قد يبدو طلبُ والدي منطقياً لأوّل وهلة، ولكن مع إطالة التفكير في توابعه، يجد المرء نفسه أمام تحرّك غير حكيم مطلقاً، إلا إذا كان والدنا يُريد وضع حلول مستحيلة لجرِّ زوجي للطلاق، لأن والدي يفترض قدرته على جرّه وهو صاغر للمثول أمام محكمة رسمية يُقر فيها على نفسه بتجاوزاته ويتعهد بعدم تكرارها.

وقد قالوا قديماً: إذا أردت أن تطاع، فأمر بما يُستطاع! ومثل هكذا طلب من جانب والدي يصعب تحققه لسببين:

الأول: مكانة زوجي كرجل دين، وهذا يجعله يترفّعُ عن إذلال نفسه بشكل رسمي، فلا يُعقل أن يطلب منه أحد الاعتذار أمام الأضواء، في حين يمكن ذلك إذا ما اقتصر الأمر على الأقارب فقط.

ولو رفض الإقرار بتجاوزاته أمامهم، فالانفصال هو الخيار دون أي تردد.

الآخر: إذا ما وافق زوجي وهو مُرغم وصاغر على خطوة الاعتذار أمام المحكمة، فمَن الذي يضمن لي شخصياً حسن معاملته لي مستقبلاً إذا ما عدتُ لكنفه من جديد؟!

إن طبيعة الحياة الزوجية تفترض تحقق جو من المودة والرحمة بين الزوجين، وهذا الجو لا يمكن تحقّقه تحت التهديد والوعيد، فماذا أستفيدُ إن كان زوجي يُقّر صاغراً بتجاوزاته أمام المحكمة، ثم أضطر للعيش معه وهو يستشعر غصَّة في حلقه من نجاحي وأسرتي في تركيعه؟!.

المشاكل الزوجية لا يمكن حلها بالمزيد من الرسميات والتشدد والعِناد، هل يُراد لي أن أعيش مع زوجٍ يُعاملني برسميةٍ وكله جفاء روحي وعاطفي؟!

الرسميات والقواعد العامة تصلح أن نملأ بها صفحات الكتب، ولكنها لا تصلح حين نجلس بها على أرض الواقع، فقد يلجأ زوجي للانتقام مني، وذلك بتعذيبي نفسياً تحت غطاء التعامل الرسمي دون أن أجد مأخذاً عليه أمام المحاكم من جديد.

إن خطوة اللجوء للمحكمة، لا يمكن أن تحقّق مصلحة لي على المستوى الشخصي، سواء وافق زوجي عليها أو لم يوافق، بل سيتحقق منها انتصار رسمي لوالدي ومَن يرى رأيه في خصومتهم مع زوجي فقط، وانتصار أبي على زوجي أو العكس لا يخدم قضيتي الشخصية ومصير أطفالي.

أرجوكم.. قفوا وقفة تأمل وانظروا للقضية من زاويتي، وليس من زاوية أحدكم، فالمشكلة هنا بين زوجين وليست بين تاجرين، لذا أيّ حل يتم طرحه، يجبُ أن نستحضر فيه إحراز المودة والرحمة والألفة بعد تنفيذ خطوة الحل المقترح، فأيّ حل يُؤدي لمزيد من الكراهية والبغضاء بين أي زوجين ليس حلاً في الواقع.

أرجو أن تطلع على تفسير هذه الآية كما يوضّح أحد العلماء في تفسيره.

من هنا يبدأ الاقتباس:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴾.

التّفسير: محكمة الصّلح العائلية:

في هذه الآية، إشارة إلى مسألة ظهور الخلاف والنزاع بين الزوجين، فهي تقول: **﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾**. ليتفاوضا ويُقرّبا من أوجه النظر لدى الزوجين، ثمّ يقول تعالى: **﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾**، أي ينبغي أن يدخل الحكمان المندوبان عن الزوجين في التفاوّض بنيّة صالحة ورغبة صادقة في الإصلاح، فإنّهما إن كانا كذلك أعانهما الله ووفق بين الزوجين بسببهما، ومن أجل تحذير الحكَمين وحثّهما على

استخدام حسن النّية، يقول سبحانه في ختام هذه الآية: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً** ﴾.

إنّ محكمة الصلح العائلية التي أشارت إليها الآية الحاضرة، هي إحدى مبتكرات الإسلام العظيمة، فإن هذه المحكمة تمتاز بميزات تفتقر إليها المحاكم الأُخرى، ومن جملتها:

أولاً:

إن البيئة العائلية بيئة عاطفية، ولذلك فإن المقياس الذي يجب أن يُتبع في هذه البيئة، يختلف عن المقاييس المتبعة في البيئات الأُخرى.

بمعنى أنّه لا يمكن العمل في (المحاكم الجنائية) بمقياس المحبّة والعاطفة، فإنّه لا يمكن ـ في البيئة العائلية ـ العمل بمقياس القوانين الجافة والضوابط الصارمة الخالية عن روح العاطفة، فهنا يجب حل الخلافات العائلية بالطرق العاطفية حدّ الإمكان.

ولهذا يأمر القرآن الكريم أن يكون الحكمان في هذه المحكمة ممن تربطهم بالزوجين رابطة النسب والقرابة ليمكنهما تحريك المشاعر والعواطف باتجاه الإصلاح بين الزوجين، ومن الطبيعي أن تكون هذه الميزة هي ميزة هذا النوع من المحاكم خاصّة دون بقية المحاكم الأُخرى.

ثانياً:

إنّ المدعي والمدعى عليه في المحاكم العادية القضائية مضطران – تحت طائلة الدفاع عن النفس – أن يكشفا عن كل ما لديهما من الأسرار،

ومن المسلَّم أنّ الزوجين لو كشفا عن الأسرار الزوجية أمام الأجانب والغرباء لجرح كل منهما مشاعر الطرف الآخر، بحيث لو اضطر الزوجان أن يعودا – بحكم المحكمة – إلى البيت لما عادا إلى ما كانا عليه من الصفاء والمحبة السالفة؛ بل لبقيا يعيشان بقية حياتهما كشخصين غريبين مجبرين على القيام بوظائف معينة.

ولقد دلّت التجربة وأثبتت أنّ الزوجين اللذين يضطران إلى التحاكم إلى مثل هذه المحاكم لحل ما بينهما من الخلاف لم يعودا ذينك الزوجين السابقين.

بينما لا تطرح أمثال هذه الأُمور في محاكم الصلح العائلية استحياءً من الحضور، أو إذا اتفق أن طرحت هذه الأُمور فإنّها تطرح في جو عائلي، وأمام الأقرباء فإنّها لن تنطوي على ذلك الأثر السيء الذي أشرنا إليه.

ثالثاً:

إنّ الحكمين في المحاكم العادية المتعارفة، لا يشعران عادة بالمسؤولية الكاملة في قضايا الخلاف والمنازعات، ولا تهمهما كيفية انتهاء القضية المرفوعة إلى المحكمة، هل يعود الزوجان إلى البيت على وفاق، أو ينفصلان مع طلاق!

في حين أنّ الأمر في محكمة الصلح العائلية على العكس من ذلك تماماً، فإن الحكمين في هذه المحكمة حيث يرتبطان بالزوجين برابطة القرابة، فإن لافتراق أو صلح الزوجين أثراً كبيراً في حياة الحكمين من الناحية العاطفية، ومن ناحية المسؤوليات الناشئة عن ذلك.

ولذا فإنّهما يسعيان - جهد إمكانهما - أن يتحقق الصلح والسلام والوفاق والوئام بين الزوجين اللذين يمثلانهما، وأن يعيدا المياه إلى مجاريها كما يقول المثل. ***انتهى الاقتباس***[٢].

كما ألفت نظرك أخي العزيز، أني لست في وارد الرجوع لزوجي إن فهمت من كلامي إيحاءً بذلك، فكل ما أريده هو أخذ زمام المبادرة لتعود دفة القضية وإدارتها لي شخصياً بعد أن تجاذبتها الأطراف الأخرى إلى مزالق خطرة قد تضرني وأطفالي.

امنحوني القدر الكافي من الثقة الذي أحتاجه لاتخاذ القرار النهائي الذي أراه يخدم مصلحتي وأطفالي بعيداً عن أية ضغوط من أحدكم، فالتفكير الحر البعيد عن الضغوط قد يجعلني أقرر الانفصال بقناعة تامة.

صدقوني، قد أرى في الانفصال حلاً نهائياً يُريحني من تبعات هكذا علاقة كثرتْ بسببها جراحاتي، حتى أصبحتُ علكاً يُدار بألسنة الأهالي الذين صاروا يتفكّهون بجراحاتي في أحاديث السمَر عند رجالهم وثرثرة الضحى عند نسائهم.

إني لأضحك قليلاً من عجبي لهذه القضية وتفاعلاتها التي تُضحك كل ذي ضرس وناب، ثم أجدني وقد استسلمتُ للبكاء طويلاً لفجيعتي بها، فلا أعرف أين أضع قدمي منها وأين أرفعها.

(٢) الأمثل، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

أنا أدعوكم وبصدق إلى تحمل المسؤولية كاملة معي في تأمين مستقبل أفضل لي ولأطفالي دون إهمال لحقي في تقرير مصيري ومصيرهم.

كلمة أخيرة:

ماذا أقول في أبٍ كأبي؟! فمهما بذلتُ من جهود لأفيه حقه عليّ لما وفيت له، فأبي وقرّة عيني كان وسيبقى دائماً الحصن الحصين الذي نلوذ به حين الشدائد.

أبٌ يكلؤنا بعطفه وإحسانه. أبٌ لا يبخل علينا بشيء من وقته وجهده وماله. أبٌ لا أملك إلا أن أدنو منه رغبةً في رضاه عني، وخجلاً من أن أكون قد قصَّرت في بعض حقه عليّ.

واللهِ.. إنَّ أبي بكل ما يعرفه الجميع عنه من فضل وإحسان عليَّ سواء باهتمامه الشخصي بشأني ونصرتي ودعمه المالي الكبير وغيرها الكثير من عطائه اللا محدود في قضاء حوائجي، فإنه سيبقى محل احترام وتقدير مني ما حييت.

إني لا أرغب مطلقاً في الاختلاف مع أبي في أي شأن، ولكن خلافي معه هنا مشروع، وذلك لعلمي بأن أبي إنما يُريد مصلحتي بحسب تقديره للأمور، وكما تعلم تقدير الأمور يختلف من شخص لآخر، لذا كان أن طرحتُ رأيي وتقديراتي للأمور التي قد أتفق في بعضها معه أو قد أختلفُ في بعضها الآخر.

أرجوكم.. لا يذهب بحلمكم الشيطان وتظنون – لا سمح الله – أني أتطاول على أبي إن اختلفت معه في تقدير بعض الأمور.

ركزوا في مضمون هذه الآية : ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾.

بالتأكيد، لا أريد أن أخالفكم لهوى في نفسي، ولكني مجتهدة في طلب الإصلاح ما استطعت، فأنا مسؤولة أمام الله وأبنائي عن أي قرار أتخذه.

إن محبتي لأبي لا تكاد تُعادلها محبة، فللأب مكانة في قلب البنت لا يعلمها إلا الله، فكيف حين يكون أباً عظيماً كريماً مُحسناً كأبي، والذي تلهج ألسنتنا دوماً بالدعاء له أن يُطيل لنا الله في عمره، ويُنعم عليه بموفور الصحة والعافية، ويُبلغه خيراً بنا وبذريتنا.

أخي العزيز..

يعلم الله مكانتك الكبيرة من قلبي وروحي، وهو ما جعلني أُسر لك بهذه الكلمات وكلي ثقة في قدرتك على فعل الكثير بما يحقق إن شاء الله مصلحتي وأطفالي.

أرجوك.. لا تخيِّب أملي بك..

قال تعالى: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾.

١٩ مايو ٢٠٠٥م

| أقوال أنصار التعدد |

21

سأجتهد في نقل قناعات مناصري التعدد كما يُحبون أن يُقدموا للموضوع بأنفسهم، وهي ممزوجة بانفعالاتهم وخلفياتهم عن التعدد من رحم مجتمعي الذي نشأت فيه، والجميع يلمس بأن أحاديث التعدد لا تخلو من جدية وهرج ومرج ونكتة وصدام وتشويق وإثارة وسعادة وألم.

القول الأول:

إن أحد أسباب نزوع بعض الرجال للتعدد سببه أنهم تزوجوا الزوجة الأولى في ظل ظروف معينة وزمان معين، وقد كان للآخرين نصيب الأسد في تحديد زوجاتهم؛ وذلك نتيجة عدم استقلالية الشاب سواء المادية أو حتى الشخصية عن أهله.

هذا فضلاً عن عدم نضوج شخصية الرجل في تلك الفترة، ووجود عدد من العوامل التي تأخذ بالشاب لمداراتها في اختياره لشريكة عمره.

والحقيقة أننا نعيش في مجتمع يُعشعِش فيه الكبت والحرمان الجنسي، لذلك قد يندفع الشاب غير المستقل عن أهله مادياً وشخصياً إلى القبول بما يُعرض عليه حينها من أسماء دون تدقيق طويل فيها، فالحاجة الجنسية الملحة والحاجة لتلبيتها لها

أثر بارز في اتخاذ الشباب العديد من القرارات غير الناضجة، فلا رأي لمحصر كما نقول مازحين.

يُضيف أنصار التعدد:

إن الرجل يتزوج الأولى تنفيذاً لرغبات الآخرين، أو لنقل تحت تأثير قناعاتهم ورؤاهم.

أما الزوجة الثانية، إنما يكون اختيارها ذاتياً من الشخص نفسه، ودون تأثير خارجي من أحد، فقد عاش الحياة ووزن حاجاته وحدّدها، ثم نجده وقد رغب في شريكة حياة توفرها له.

ويُشجعه في ذلك نجاحه الحالي من تكوين نفسه وتحقيق استقلال ذاتي اقتصادي وشخصي عن أهله، فضلاً عن توسع مداركه وفهمه للحياة وزيادة اطلاعه وتوفر خيارات أخرى مغرية من نساء مجتمعاتنا.

والإغراء لا أقصد به الجنسي هنا، بل الإغراء الذاتي وطبيعة شخصية بعض النساء اللائي قد يميل لهن الرجل، ويرغبُ في الزواج بهن لتوفر بعض الخصال فيهن.

القول الثاني:

[الأكيد أن كل حالة زواج متعدد، تعني فتاة وافقت عليه].

هذه المعادلة تثبت أن التعدد ليس قراراً ذكورياً فقط، بل هو قرار أنثوي أيضاً.

فلو قاطعت جميع النساء في مجتمعاتنا التعدد، فإن تلك المقاطعة كافية للقضاء عليه كسلوك اجتماعي في هذه المنطقة أو تلك، أو لنقل تحد منه بشكل ملحوظ جداً.

والدليل على ذلك، أن التجاوب مع التعدد يختلف من منطقة لأخرى بين نسائها، وهو ما ينعكس على قوة أو ضعف وجود التعدد في هذه المنطقة أو تلك، وكلنا نستحضر أمثلة لتلك المناطق سواء المتجاوبة مع التعدد أو المتحفظة جداً إلى درجة تحريمه عرفاً بينهم.

إن التعدد يحتاج لإتمامه إيجاباً وقبولاً من الجنسين، وليس من أحدهما فقط كما يحاول بعضهم إلصاق هكذا سلوك بالذكور فقط.

القول الثالث:

[الإجماع].

يطرب عادةً أنصار التعدد لحقيقة وجود إجماع بين علماء الأمة على اختلاف مذاهبها حول جوازه، فلم تكن هذه الجزئية أبداً نقطة خلاف بينهم، فضلاً عن تواتر العمل به على مر العصور وتفعيله في واقع العامة والخاصة.

ولا يوجد شذوذ من شخصية معتبرة ترفضه في ذاته من علماء الأمة. ولذا من يُثبته ويدعو له ويفعله إنما أصاب بفعله ذلك تشريعاً إسلامياً قطعياً.

القول الرابع:

[اشتراط العدل].

إن مسألة العدل ليست شرطاً لصحة العقد في ذاته، فمتى ما توفرت أركان الزواج المعروفة من إيجاب وقبول بين رجل وامرأة، فثمَّ زواج صحيح شرعاً، ويترتب عليه الحقوق والالتزامات المعروفة بين الزوجين.

وأي تقصير عن الوفاء بذلك من أي طرف في العقد، يلحقه إثم تقصيره، ويحق للطرف المتضرر اتخاذ الإجراء المتاح له لرد ذلك التقصير.

والجدير ذكره، أن الإشارة للعدل لازم لكل تعدد، فلو أراد أحدهم التعدد في الأبناء، فمن الطبيعي أن يذكِّره الآخرون بضرورة العدل بينهم، ولو أراد التعدد في الموظفين لديه، فسيُطالبونه بالحاجة للعدل بينهم، وهكذا في جميع جوانب الحياة المختلفة.

وملخص القول:

إن اشتراط العدل في التعدد ليس شرطاً في صحة العقد في ذاته، بل مسألة العدل أقرب لأن تكون تنظيمية وطبيعية لنجاح أي عملية إدارية لاحقاً، والتذكير بضرورة العدل لازمة لأي تعدد.

القول الخامس:

[النماذج الفاشلة للتعدد].

بخصوص وجود نماذج للاستخدام السيء لهذا التشريع بين الناس، فيقول أنصار التعدد في ردهم: هل وجود تطبيقات سيئة لأي تشريع مدعاة لاستقباحه ومقاطعته؟!

ماذا نفعل إذن مع وجود تطبيقات سيئة للزواج نفسه حتى من واحدة؟!

الجميع يعلم بوجود حالات متواترة كلها مأساوية، وزيارة للمحاكم تكفي لمعرفة بعض نتائج الزواج من واحدة، فهل مع ذلك نقاطع الزواج من واحدة أيضاً؟!

وأما بخصوص اشتمال الزواج لمتطلبات كثيرة كتربية الأطفال والعناية بهم، وهو ما يفشل فيه المتعدد بحسب رأي معارضيه عادة، يُجيب أنصار التعدد:

وماذا عن الشباب الفاشل والفاسد في واقعنا؟
أليس معظم آبائهم من الرجال غير المعدّدين؟!

وهو ما يجعلنا نستحضر ضرورة اختيار الزوج الصالح المؤهل – صاحب الشخصية القيادية – لبناتنا بقطع النظر عن كونه متزوجاً سابقاً أو أعزباً.

إن رفض بعضهم للتعدد بحجة صعوبة تحقيق العدل بين الزوجات، يسهل الرد عليه بملحوظة أنه غير ملزم لأحد أن يُقدم عليه أو يتجاوب معه، وخاصة من

الطرف النسائي، فلو كان لدى أحدنا شك ولو بنسبة ١ % من عدم قدرة الرجل المتقدم للتعدد على الوفاء بالعدل المطلوب منه، فمن حقنا أن نرفض طلبه ونمنعه من الزواج بكريمتنا، فلن يُرغمنا أحد على ذلك؟!

بلى.. يوجد من الرجال من يمكن أن يقود أمة كاملة، وفي المقابل هناك من لا يملك أن يقود نفسه، فأينما توجهه لا يأتِ بخير؛ ومهمتنا فرز أولئك الرجال بحسب المعطيات المتوفرة أمامنا، ولنا كامل الحرية في التجاوب مع طلب هذا الرجل أو رفضه.

القول السادس:

يطرب أنصار التعدد من الرجال للقَصَص المتواترة عن طلب بعض الفتيات من أحدهم الزواج بها كزوجة ثانية، ويأخذهم الزهو والخيلاء بتلك القصص التي يتناقلونها فيما بينهم لإثبات أن الجنس الآخر يطلب هذا النوع من الزواج أحياناً وبحماس ملفت يبعث على الدهشة.

القول السابع:

[ما مفهومكم للعدل ؟!].

يُجيب أنصار التعدد: المفهوم الصحيح للعدل يكمن في وضع الأمور في موضعها الصحيح، وتفعيل العدل المادي لا يحقق العدل الحقيقي والمطلوب.

فهل يتحقق العدل حين يتواجد الزوج كل يوم عند إحدى زوجاته، وكما لو كان موظفاً يلزمه التوقيع بالحضور والانصراف في دخوله وخروجه ؟!

نريد زوجاً حكيماً صاحب شخصية قيادية، وهو ما يجعله يعدل بين زوجاته بما يحقق المصالح المطلوبة دون مشاكل.

ولا نريد للزوج أن يتواجد لمجرد التواجد في بيت هذه أو تلك، بل نريده تواجداً فاعلاً بأن يؤدي من خلاله التزاماته تجاه أسرته بكل اقتدار.

ومثال ذلك: في ظرف معين كالامتحانات، قد يجد الزوج أن واجبه تجاه أسرته يحتم عليه التواجد أكثر في منزل الزوجة الأولى بحكم أن لديها أبناء في سن الدراسة، وبالتالي يحتاجون متابعة في هذه الفترة بالذات.

والزوجة الثانية ستكون متفهمة لذلك إذا ما شعرت بأن لزوجها وظيفة سامية يؤديها هنا أو هناك.

وكذلك الأمر في ظروف أخرى كأن تكون إحداهما أو أحد أبنائهما مريضاً ويحتاج تواجداً أكثر من أبيه في ظرف محدد لمتابعة وضعه.

هناك عدل مادي جاف، يجعل من الزوج مجرد آلة! وهو لا يفيد ما لم يتم تفعيل العدل الصحيح، والذي يتحقق مع شخصية ذكية حكيمة تعرف كيف تدير الأمور وتضعها في موضعها المناسب.

القول الثامن:

[مَن المحتاج أكثر لهذا النوع من الزواج؛ الرجال أم النساء ؟!].

النساء بالطبع! فالمرأة حين تقبل الزواج برجل معدّد، إنما لأنها غير متزوجة أساساً، وبالتالي تعاني حرماناً من نعمة الزواج، وحاجتها للزواج أساسية وليست

ثانوية، وخاصة في مجتمعنا المحافظ جداً الذي لا توجد فيه منافذ أخرى غير الزواج لتصريف الكثير من حاجات المرأة الخاصة، كما أن له أهمية كبرى في القبول الاجتماعي، وأما الرجل المتزوج حين يُقبل على خطوة التعدد، إنما يكون قد أمّن حاجاته الأساسية بالزواج من الأولى عادة، سواء الحاجات الخاصة أو حتى الاجتماعية.

إذن التعدد يكون موجّهاً لفئة من النساء غير المتزوجات، وبالتالي هو فرصة لهن للزواج، وتحقيق بعض طموحاتهن المشروعة من خلاله سواء الشخصية أو الاجتماعية.

النساء المستهدفات بالتعدد إما فتاة عزباء أو مطلقة أو أرملة، وكلهن في الواقع غير متزوجات، ويمكن لهن الاستفادة من هذا النوع من الزواج إذا ما أردن، ولا يوجد إرغام لهن للقبول به.

القول التاسع:

[فرصة للمرأة].

التعدد فرصة للمرأة ليس فقط لتلبية حاجاتها الجسدية أو النفسية والاجتماعية الضيقة، بل هي فرصة في حالات عدة لتلبية قناعاتها الدينية والاستجابة القوية لطموحاتها الأخروية أيضاً.

هناك رجالٌ يكون الزواج بهم مُعيناً للمرأة في أمر دينها والتزاماتها تجاه ربها ويلبي قناعاتها العقائدية، ومثال ذلك أن تأتي سيدة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتعرض عليه الزواج بها.

قال تعالى: ﴿ **وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾، وقد احتضن الباري فعلها، فنعتها بالمؤمنة، وهناك السيّدة أسماء بنت عميس، وكانت أرملة ولديها أيتام، فجاء يخطبها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان يمكنها أن ترفض طلبه؛ ولكنها كانت أمام عرضٍ خاص، ليس فقط لقضاء حاجاتها المادية مع رجل، بل أمام شخصية عظيمة يمكنها أن تعينها على أمر دينها، وتوفر لأبنائها جوّاً تربوياً عقائدياً سليماً.

وهو ما تم حقاً حين احتضن الإمام أبناءها، وكان من نتيجة ذلك أمثال محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، وهو [ربيب علي]، وما أدراك ما محمد بن أبي بكر الذي جاءت الوفود من كل الأقطار لتعزي عليّاً به بعد استشهاده باعتباره ابناً وحبيباً له، وليس فقط كقائد عسكري أرسله في مهمة.

الزواج بعلي المعدّد فرصة لسيّدة مثل أسماء بنت عميس أن تعيش في كنفه، وهذا الكلام لا يقتصر على الشخصيات التاريخية العظيمة، بل ينسحب على كل الشخصيات الرسالية بحسب كل مجتمع.

والحقيقة أنه في كل زمان ومكان هناك رجال من العيار الثقيل، تتوسم المرأة فيهم خيراً كثيراً لتلبية قناعاتها العقائدية وما يُعينها على أمر دينها ودنياها.

نضيف على ذلك أن ملامسة واقع المجتمعات المحافظة يجعلنا نقع على واحدة من أهم الأسباب التي تدفع بالفتيات لطلب الزواج وبحماس لافت له حتى من الشخصيات العادية وأحياناً الأقل من عادية، والسبب الحاضر وبقوة، هو بحث

الفتاة الملتزمة عمّا يعينها على تلبية قناعاتها الدينية، وخاصة في هذا الزمن الذي كثُرت فيه الإغراءات التي تستثير النوازع البشرية وتبرزها كتحدٍ تجب مقابلته، ولا سبيل للفتاة المتدينة إلا الحلول الشرعية التي لا ترضى لنفسها بديلاً عنها، والزواج من أحدهم يبقى خياراً حاضراً ويكبر كلما استشعرت الفتاة نفسها عمق أزمتها النفسية الناتجة عن عدم زواجها، وبالتالي حرمانها من أهم المكتسبات التي تفترض تحققها بالزواج، وخاصة تأمين حاجتها للأمومة، فضلاً عن حاجتها الجنسية وغيرها.

إن التحدي الفطري الجنسي له حساسية خاصة في واقع الفتاة المتدينة، وهو تحدٍ جاد لا هزل فيه، ويتطلب وقفة لمعالجته بالحلول الشرعية المتاحة، والتي منها الزواج بمتزوج إذا رغب هو في ذلك.

ملخص القول:

إن التعدد فرصة لبعض النساء للاستعانة به على أمر دينهن، وليس فقط أمر دنياهن، كما هو الحال حين ترغب سيدة مؤمنة في الزواج بأحدهم بدافع ذاتي، أو حين تتجاوب مع عرض أحدهم وإفصاحه عن رغبته الزواج بها!

والعكس صحيح في الجانب الرجالي طبعاً، فقد يرغب رجل متزوج في الفوز بشخصية نسائية خاصة، فهل من المنطق أن نحرمه منها لمجرد أنه متزوج، ولا يحق له الاستفادة من هذا التشريع للفوز بشخصية يرغب التواصل معها بالحلال.

القول العاشر:

[هل الخلل في الرجال المعدّدين بالضرورة ؟].

هناك مزاعم تتكرر بكثرة على لسان النساء اللائي يتحفظن على التعدد، وهي إتهام الرجل بالتسبب في كل المشاكل اللاحقة لأي تجربة تعدد، وقد قالت إحداهن مهاجمة أنصار التعدد من الرجال: (المشكلة في الرجل وليست في المرأة، عالجوا الرجل وتشفى المرأة).

وكانت تريد بذلك لفت الأنظار إلى أن الموقف السلبي والعنيف من المرأة تجاه التعدد سببه تقصير الرجل، وهو المسؤول عن ذلك كله.

يُجيب أنصار التعدد:

هذا القول ربما لا يصح في كل الأحوال، لأنه يفترض أن كل امرأة على مستوى من الحكمة والنضوج الشخصي بحيث أنها ستقابل سلوك زوجها بما يوازيه.

وبالمثال يتضح المقال:

رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وهو المعصوم، فضلاً عن أنه أفضل الخلق على الإطلاق، ولا يمكن لأحدنا أن يُشكِّك في حسن تعامله مع زوجاته واحترامه لهن، ورغم ذلك ابتلي ببعض نسائه ممن يتصيّدن المواقف عليه، وقد نزلت سورة التحريم في ذلك.

مراجعة سريعة لسورة التحريم تضعنا أمام أحد المبررات المشروعة للزواج من ثانية، إذ أن أحدنا قد يُبتلى بزوجة حمقاء أو غير ذلك من خصال سلبية. وقد يجد

الرجل صعوبة في الخلاص منها لوجود ذريَّة له منها، أو لظروف اجتماعية قاهرة، كأن يكون الطلاق له نتائج سلبية على موقعه الاجتماعي في مجتمعه.

ونشير هنا أن وجود عامل الغيرة عند المرأة يُؤثّر في تقييمها للأمور، فضلاً عن انفعال العاطفة عندها، ولذا يصعب أن نتخذ من انطباع المرأة كمقياس وحيد لعدل الرجل، والدليل على ذلك حالات التعدد التي طرفها رجال معصومون، كما هو الحال مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وإبراهيم الخليل عليه السلام.

القول الحادي عشر:

[التعدد هو الأصلُ وليس الاستثناء].

يطرب أنصار التعدد لحقيقة أن الشريعة الإسلامية تحث عليه بدليل الآية القرآنية التي شرّعتهُ، وأنه الأصل وليس الاستثناء.

قال تعالى: ﴿ **فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ** ﴾، فلو كان الأصل هو التفرّد في الزواج، لما كانت هناك حاجة للإشارة للتعدد في الأمر بالنكاح ابتداءً، وهنا أمرٌ فيه حث على نكاح النساء (مثنى وثلاث ورباع) وهو الأصل.

ثم جاء الاستثناء بالإمساك على واحدة إن خشي أحدنا بأنه غير قادر على العدل في النفقة وما في حكمها من مظاهر عامة فيما لو عدّد، ولا يُقصد به إلزام الزوج بالعدل في المشاعر القلبية بينهن.

القول الثاني عشر:

[الأنانية].

هناك غمز متكرر للتعدد بأنه سلوك يتسم بالأنانية، وخاصة من طرف الفتاة التي تقبل به، باعتبارها تقدّم مصلحتها الشخصية على حساب مصلحة فتاة أخرى، وغير ذلك من غمز ولمز يطال المقبلات على التعدد في الجانب النسائي.

يُجيب أنصار التعدد:

السلوك البشري طبيعته التدافع والتنافس، ولا يمكن القول بأن سلوكاً معيناً لا متضرر منه أبداً، وإن كان الضرر نسبياً، إلا أنه يبقى ملازماً لأي سلوك نتيجة اختلاف مواقف الناس من أي قرار يتخذه أحدهم.

قرارنا التجاري بكسب حصة أكبر من السوق، يعني سحب جزء من حصة المنافسين لصالحنا، وهو ضرر بهم، وهكذا في جميع نواحي حياتنا البشرية التي تتسم بأن لكل سلوك منتفعين ومتضررين، والبشرية توصلت في تطور سلوكها الاجتماعي إلى التسليم بتلك الحقائق والتعاطي معها بواقعية، بل التنظيم لها بسن القوانين التي تضبطها، وحصول خلاف بين الناس من مسلمات الواقع، ولا يمكن منع حصول ذلك بينهم.

هذا مثال سريع، ويمكن استحضار كل الوقائع في حياتنا، فهي تصلح كشواهد تعزز ما أشرنا له.

| الصبر على العنوسة |

22

في متابعتي لحركة المفاهيم الاجتماعية وتطبيقاتها الواقعية في البيئة الإسلامية المحافظة التي أنتمي لها، وجدت أن التصدي لهذا العنوان لا يمكن معه تجاهل جانبين: الجانب العقائدي، والجانب الاجتماعي.

فلا يمكن لنا أن نغفل الحضور العقائدي للشريحة التي نخاطبها، وكذا لا يمكن لنا أن نمارس فوقية عقائدية لا تلامس الحياة المعيشية الاجتماعية للشريحة التي تبتلى بتشخيصنا.

- **الجانب الاجتماعي:**

هناك انطباع لدى بعضنا بأننا حين نجدد التذكير بأهمية الصبر على ابتلاء العنوسة، نفعل ذلك بقصد القفز على الاستحقاقات الواجبة وتمييعها، وكما لو أننا غير معنيين بحاجة الفتاة التي تعاني الحرمان من الزواج ومكاسبه المأمولة منه.

وهذا الفهم مغلوط، فنحن حين نبرز عنوان الصبر، نفعل ذلك لأننا حريصون على سعادة الفتاة الحقيقية، وسعادتها تكمن في تحسين نظرتها لقيمة الأشياء التي تضطر لتقييمها وتؤثر عليها، وذلك مقدمة لتكيّفها معها، وتحقيق أقصى المكاسب الممكنة منها، أو تقليل خسائرها منها.

لنفترض أننا تحمسنا لتأمين زوج لإحداهن، وقد وجدناه، وتأكدنا من توفر جميع المواصفات الحسنة فيه، والتي يُفترض توفرها في الزوج.

هل نكون بذلك قد أدخلنا الفتاة إلى الجنة الموعودة؟ هل هي في مأمن إذا ما تزوجت من ابتلاءات الزمان الأخرى التي لا تستثني أحداً ؟!

زوّجناها من رجل مناسب جداً لها، ولكنه ربما خطفه حادث سير كما خطف غيره فجأة، فهل مطلوب منا أيضاً أن نضمن لها كل الظروف المستقبلية الأخرى، فنضمن لها عافية لا تتبدل في كل أحوالها الشخصية والأسرية والصحية والاقتصادية.

واقع الحياة الدنيا يفرض على المرء أن يُعّد العدة الذاتية لمواجهة التحديات المستجدة في حياته، ولا يملك الهرب منها، فكلما تخطى تحدياً، اضطر لمواجهة تحديات جديدة تتلون في أشكال وقوالب تتغير عناوينها تبعاً لظروف كل مرحلة.

تأمين النجاح في تخطي محطة معينة كالعزوبية بالزواج، لا يمكن أن يُحصِّن صاحبها من التعرض لتحديات وابتلاءات جديدة، وربما تكون أقسى، فقد يبتلى في رزقه أو صحته أو في أحد ذويه أو ربما يفشل في تحقيق أهدافه الرئيسة من ذلك الزواج نفسه، فكم فشل غيره،... إلخ.

ولذا يبرز سؤال: هل إذا وفرنا للفتاة زوجاً، نكون في حل من عتبها الأسري والاجتماعي بقية حياتها؟

أم أنها وباعتبارها جزءً منا، مضطرة للتواصل مع محيطها في كل محطة تالية، والمحطات التالية تخفى عليها وعلينا مدى تفاوت التحديات القادمة فيها؟

معاناة الشخص لها جانب اجتماعي، باعتبار أنه يطلب من مجتمعه أن يساعده في تلبية حاجاته، وبالتالي هناك ضرورة لإشراك الآخرين في تقييم الأمر معه، وليس من المنطق أن يجلس المرء إلى معاناته، ويفرض درجة حماسه المرتفعة لها على الآخرين.

وبالتالي جلوس الفرد لمعاناته واقتصاره على تقييمه الذاتي لها، يُعتبر سلوكاً سلبياً مضراً به، فهو مضيعة لوقته وجهده وإهدارٌ في بعض الحالات لكرامته.

هذا التوصيف يصح في جميع الحاجات الإنسانية، ونجد تطبيقاته منتشرة في كافة جوانب حياتنا، ولذا اعتدنا أن نوازن قدر المستطاع بين اندفاعنا لحاجاتنا وأهمية تلبيتها، وبين تفهمنا لحاجات الآخرين التي قد تتقاطع أو تتعارض مع حاجاتنا.

المعاناة في بعض جوانبها، لها أسباب موضوعية معيشية، مثل شدة التنافس على موارد محدودة، فالزواج من إحداهن لا يمكن توفيره لكل من يرغب بها من الرجال مثلا، بل المقعد محجوز لواحد منهم فقط، والعكس صحيح أيضاً بشكل نسبي طبعاً، وكذا الأمر مع شدة التنافس على وظيفة هنا أو مصلحة هناك.

مهم استحضار هذه الحقيقة وغيرها، فحاجاتنا نحتاج في تلبيتها توافق الآخرين معنا، والآخرون لهم حساباتهم الذاتية، والتي في بعضها منافسة صريحة لحاجاتنا،

ونحن نتدافع معهم، ولذا نضطر لتحديث دوري لقيمة كل حاجة من حاجاتنا لتحقيق أفضل الممكن قدر المستطاع.

إن الواقع الاجتماعي الذي نعايشه أوصل الفتيات في حالات عديدة إلى ظاهرة مؤلمة وموجعة لهن، وهي خسارة كرامتهن أمام الابتزاز الرجالي، وما دام الواقع كذلك، فإن واجب الفتاة أن لا تقبل هذا الاستدراج الذي ينال من كرامتها، وعليها أن تدرك ومن واقع التجربة، أن تواصلها مع الرجال في سعيها لتحقيق هدفٍ مشروع ونبيل كالزواج، ربما لا توفر معه شيئاً من كرامتها، وعليها أن تكون على يقين بأن الدنيا بما فيها من متاع مباح وغير مباح، لا تستحق أن تعيش لحظة ذل فيها أمام صعلوك من صعاليكها.

على المرأة أن تستشعر أهمية العزة والكرامة لتحقيق ذاتها، ولا تغلبها عاطفتها وحاجتها فتذهب بها إلى مواطن لا توفر فيها كرامتها، فالتعاسة تلحقها حين تستسلم لظرفٍ وتنجرف منقادة لمنحدراته، والسعادة الحقيقية أو بعضها على الاقل يمكن بلوغها بضبط الانفعالات ومراجعة تبعاتها قبل الإقدام عليها.

- **الجانب العقائدي الشرعي:**

قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾.

وقال الإمام علي الهادي عليه السلام: «إن اللّه جعل الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عُقبى، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً».

ولذا حين نوجّه الفتاة إلى الصبر، فنحن نوجهها إلى ما فيه سعادتها الحقيقية، والأمور بخواتيمها، فكيف إذا كانت خواتيمها الفوز بالجنان والخلود فيها.

المفترض أن الفتاة المؤمنة ترى مقامها في الجنة يقيناً في كل معاناة تلم بها، فهي تدرك أن تلك المعاناة ليست مفصولة عن عاقبة حَسَنة حقيقية دائمة بعدها، ولذا لا عجب أن يتمنى أهل الجنة لو أن صنوف البلاء طالت معهم وتكرّرت في حياتهم الدنيا، وذلك بعد أن لمسوا أثر ذلك في الآخرة، فالتضحيات كلّما عظمت وكثرت، إنما بها توزّع مقامات الثقلين في نعيم الجنان الدائم.

نعيم الآخرة دائم لا انقطاع له، فربُها لا يُصيبه تعب ولا نصب، وهو حيّ مقتدر لا يموت، ولأنه كذلك، فهو قادر على ما يشاء، وقد وعد سبحانه بأن تكون الجنان موطناً أبدياً للصابرين من خلقه.

قال تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** ﴾، وقال: ﴿ **سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾، وقال: ﴿ **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾، وقال: ﴿ **أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً** ﴾، وقال: ﴿ **وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً** ﴾، وقال: ﴿ **وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾.

نحن حين نذكِّر بالصبر، ونعيد التركيز عليه، إنما نفعل ذلك لأننا نطلب للفتاة المؤمنة السعادة الحقيقية التي أُعِدّت لها، وخاصة مع يقيننا بأن كل بلاء يُصيبها، سيُضاف إلى رصيدها الشخصي الذي يؤدي بها إلى عاقبة حسنة دائمة، فروحها التي تشعر بالمعاناة الآن، لن تفنى، بل ستبقى لتنعم بعاقبة صبرها، وعاقبة صبرها خير لها.

وأرجو أن لا يُفهم منا أننا نحث الآخرين على الكسل والاستسلام للسلبية وعدم المبادرة لمواجهة التحديات التي تواجههم، بل كلامنا عن تطبيقات الصبر كسلوك تعبدي، إنما تكون لمن عدِمَ الوسيلة المشروعة التي يستعين بها على قضاء حاجته، فليس من المنطق أن نرفع عنوان الصبر على الفقر في وجه أحدهم مثلاً، وهو يملك أن يتكسّب ويوفر ما يُغنيه، بل لو لمسنا تقصيراً منه في ذلك لاستقبحناه منه.

وكذا ليس من المنطق أن نرفع عنوان الصبر على المرض عند من تتوفر له أسباب الاستشفاء منه، والجميع يعلم أن المؤمن يأثم إذا تكاسل عن النهوض بحاجاته الواجبة إذا كان مستطيعاً، والنهوض بالحاجات يجب مراعاة الضوابط الشرعية فيه، فالموت أولى من ركوب العار، والعار أولى من دخول النار.

| من خَدعنا، انخدعنا له |

23

شعور مختلط بالحيرة والألم والحسرة والقهر، هو ما خرجت به من خاتمة تواصل سابق مع شخصية لها مكانتها الاجتماعية في محيطها، فقد صدمت بأنها شخصية لا تتورع عن الكذب، بل تقتات عليه، وتتفنن فيه بحيث ثبت لي أنها تفعل ذلك لمجرد التسلية على حساب ضحاياها، ولا تتورع عن القسم بالله وبكل مقدّس وبرأس كل عزيز من أهلها لتمرير مقالبها المخالفة للقيم الدينية والأعراف الاجتماعية.

قررت قطع تواصلي مع تلك الشخصية من جانب واحد، وذلك حتى لا أضطر لمواجهة محرجة لي معها حفظاً لمسيرة طويلة من العِشرة بيننا، والتي تحوي في بعضها محطات تعاون طيّبة.

ولكني حين لاحظت أن تلك الشخصية مستمرة في الاستهتار بحقوق الآخرين حد التسلية بانفعالاتهم كضحايا لمقالبها، وذلك في اندفاع لا يخلو من تشفٍ وغرور وتعالٍ ومكر من جانبها، هنا قررت وضع حد لتلك المهازل التي تصدر منها.

وكان مني أن راسلت تلك الشخصية بنصيحة سرية، وحرصت على توضيح حرصي على الستر عليها، وأن من نصح سراً، فقد أراد مصلحة المنصوح، وهذا ما بادرت بفعله بكل مسؤولية في تلك النصيحة.

المؤلم أن تلك الشخصية أنكرت تقريراتي التي بنيت عليها نصيحتي لها، ولتعزيز إنكارها، صارت تقسم لي بالله وبكل عزيز ومقدس مجدداً لتمرير براءتها من تلك التقريرات!

واجتهدت في محاولة إقناعي بأن تلك الأخطاء الشنيعة إنما صدرت من شخصية وهمية افتعلتها ودمجتها في زحمة الأحداث، وحمّلت تلك الشخصية الوهمية وزر أخطائها بهتاناً، وقلبت الطاولة في وجهي متهمة إياي بالتجني الذي لا يُغتفر، وأنه حتى مع توفر حيثيات دامغة تشير لاتهامها بتلك الأخطاء، فإن المتوقع مني عدم الشك بها، وأن مجرّد شكي في حد ذاته إهانة لها، وذهبتْ بعيداً في تزكية ذاتها حتى اطمأنت أن ذلك قد أحدث أثره بي كمتلقي لكلامها.

من جانبي، وكردة فعل على إنكارها، قررت التواضع والإيحاء بقبولي لنكرانها، فالأصل عندي هو إيصال نصيحتي بشكل سري، وليس إقامة محاكمة لها، ومجرد وصول نصيحتي للطرف المعني، يعني تحقق الهدف منها سواء قبلها أم رفضها.

الأكيد أن تلك الشخصية بلغتها رسالتي وتقريراتي، وهذا هو الأهم، ولكني ما زلت أعاني من بقايا جرح ينزف في وجداني حين أتذكر أن تلك الشخصية لم تكن تستحق تصرفي بمسؤولية معها، فقد عالجتْ نصيحتي المسؤولة والسرية بالاستمرار

في الكذب والقسم بالله وبكل عزيز ومقدس كذباً، وكأن ما جئت أنصح بعدم تكراره، وجدته يُنتهج معي أيضاً ومجدداً لتمييع نصيحتي والقفز عليها.

كنت آمل أن أجد في تلك الشخصية التواضع وعدم المكابرة مع أخطاء واضحة ارتكبتها، ولكني وجدت عندها الإصرار على إضافة المزيد من المعاصي لصحيفتها.

وهنا استحضرت قول الإمام زين العابدين عليه السلام: « كفى بنصر الله لك، أن ترى عدوّك يعملُ بمعاصي الله فيك ».

متألم لأن تلك الشخصية خذلتني ولم ترعَ حسن ظني بها، ومتألم لأنها حاولت تمرير مقالبها عليّ أيضاً.

ومتألم لأنها رأت في استحالة إساءتي لها ومروءتي في حفظ العشرة التي بيننا (نقطة ضعف) تسلّقت عليها أيضا لتمرير إنكارها، ونسب مخالفاتها لشخصية وهمية افتعلتها، وتوقّعت أن تنطلي عليَّ تلك الأكاذيب أيضاً في استخفاف واضحٍ بمداركي، ونسِيتْ بأني لستُ بالخِبِّ، والخِبُّ لا يخدعني، فلستُ من الخبثِ بحيث أخدع غيري، ولا من السذاجة بحيث أُخدعُ من أحدهم.

متألم لأن تلك الشخصية خذلتني، وخذلت مكانتها الاجتماعية ومسؤوليتها المهنية، فضلاً عن أهلها الذين ربّوها.

لو قُدر أن مرت تلك الشخصية بحروفي هذه، فإنه يهمني أن أؤكد لها، بأنَّ (مَن خَدَعنا، انخدعنا له)، فسنبقى نعامِلُ الآخرين بالظاهر ونبني عليه، فما كان

منه مخالفاً للصواب، فإنه سيرتد عليهم، ولا يحيقُ المكر السيء إلا بأهله عاجلاً أو آجلا، وقد أفلح مَن تزكّى، والعاقبة للتقوى.

| رفقاً بعقولنا |

24

أزعم أني على مدى أكثر من عقد من الزمان منشغل برصد الظواهر الاجتماعية المحيطة بنا، وكتبت الكثير عن ذلك حتى بات يعرفني القريبون والبعيدون بأني كاتب ذو نزعة اجتماعية.

وقد كنت كثيراً ما أستخدم هذه العبارة: (احترموا عقلي) في تسجيل موقفي من بعض ما أسمعه من الآخرين، وكنت أعتمد عقلي فيصلاً في فرز صحيح القول من ضعيفه وموضوعه.

كبرتُ، وكثرت المواقف التي أعايشها شخصياً، فلم أعد مستمعاً لقول غيري فقط، بل صرت طرفاً ذا صلة بهذا الموقف أو ذلك، وكان من الطبيعي أن أستنهض عقلي الذي طالما استحضرته وحضر معي في فرز أقوال الآخرين.

صرت أُجرب استخدام عقلي في المواقف المتجددة بحياتي الواحد منها تلو الآخر، وكنت كلما اصطدمت بأن ما يقره عقلي من طريق (قياسي) لسير الحقائق، إنما كان خاطئاً، وكنت أعد ذلك استثناء، والاستثناء لا يُعتد به كما هو معروف، وصرت أختار لفظاً أخفّ لتبرير ذلك انتصاراً لعقلي الذي تعودت الاعتداد به، وأن ما قررته لم يكن خاطئاً بقدر ما أنه لم يكن دقيقاً، وأن العيب في

عقول الآخرين المشتركين في الحدث، والذين يتعمدون الإخلال بالتوازن الطبيعي للمواقف بتغيير مسارها دون مبرر يمكن احتمال حضوره.

ولكن كثُرت أمثال هذه المواقف، وبت مقتنعاً مع مرور الأيام أن الاستثناء هو الأصل، وأنه لا مناص من الإقرار بأن عقلي ليس قيّماً في تحكيم سلوكيات غيري.

ولاحقاً اقتنعت بأنه حتى في سلوكياتي الشخصية لم يعد كذلك، فقد وجدتني ضائعاً معه، ذلك أني ضيَّعته بأخطائي المتنوعة، وضيعني بمقترحاته الخاطئة التي فشلتُ معها في معالجة أخطائي، وفهمت من ذلك، أن الكثيرين ربما مثلي، ويحصل معهم سابقاً حين كنت أُسجل اعتراضاتي عليهم، ما بات يحصل معي لاحقاً.

أيقنت أن كل خطأ يحصل سواء كان خطأ الآخرين فيما بينهم أو خطئي معهم، لا بد وأن يحوي مساحة غير معقولة، ومن الاستحالة ضمان عصمتي أو عصمتهم، والعقل يتأثر بالتشويش الذي يحضر مع كل فردٍ منا، وبعض التشويش يمكن رصده والتنبؤ به، وبعضه عصي ذلك معه.

لست أدعو لتعطيل العقل في فرز المواقف، ولكني أدعو لأن نرفق بعقولنا، ولا نتحمس للرهان عليها كثيراً والاغترار بها طويلاً، فقد تخذلنا، فالعقل مناسب لإدارة آلة حاسبة بمهارة فائقة، ولكنه لا يملك إدارة انفعالات الناس الكثيرة والمتجددة والمتداخلة، فطالما قرر العقل شيئا فيها وخالفته الوقائع.

| ترويج المنكرات |

25

لاحظت أن بعض المؤمنات قد صرن من حيث يشعرن أو لا يشعرن من مروجي بعض المنكرات، والترويج للمنكر صارت له عدة أشكال في واقعنا المعاصر، ومن المشاهد التي لمست وجودها قيام بعض بناتنا الفتيات بنشر صور المتبرجات في صورهن الرمزية أو تواقيعهن بالمنتديات الحوارية أو مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى على الانترنت أو نشر أخبار وصور المتبرجات فيها!

ولا يخفى على الواعين والغيورين على دينهم وقيم مجتمعهم خطورة مثل ذلك السلوك على المدى البعيد، فهو يخلق في نفسية الفتاة والمتابعين لها شعوراً بقبول ذلك المنكر والتعامل معه وكما لو كان معروفاً وغير مستقبح، وهو ما يحفز المتلقين لمحاكاة أولئك المتبرجات وسلوكياتهن بشكل أو آخر.

صارت بعض بناتنا تتسابق في اختيار المميز من صور المتبرجات لتحجز لها صورة منهن وتتخذها شعاراً لها، ومن الأهمية بمكان أن تدرك الفتاة ومحيطها أن ذلك ناتج لقلة الوعي وضعف الثقة بقيمها ودليلاً على انبهارها بذلك المنكر الذي تروّجه.

هذه دعوة صادقة مني لأخواتي المؤمنات وللعاملات الناشطات بأن يأخذن على عاتقهن مهمة توعية بناتنا بما يستجد في الساحة من منكرات بأشكالها

المختلفة لتحصينهن من الوقوع فيها أو الترويج لها، وكذا الحرص على نقل التشخيص المناسب للفقهاء للاسترشاد بالموقف الشرعي من كل سلوك وتبعاته.

| أخلاقيات التغيير النبوي |

26

الأكيد أن البعثة النبوية كانت مقدمة لثورة تغيير شاملة، عقائدياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، والسؤال الذي جئنا نسلط الضوء عليه: ما هي أخلاقيات القائم على هذا التغيير؛ وهو الرسول الأعظم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ في إدارته لهذه الثورة؟

هل كان محمدٌ يقبل أن يكون التغيير بأية وسيلة، وإن كانت وسيلة غير مشروعة وقبيحة ؟!

هل كان يُبرّر لنفسه مخالفة الأعراف والتقاليد والقيم الإنسانية في مسيرته لتحقيق هدفه ؟!

هذا السؤال صار ملحاً في زماننا المعاصر، ونحن نعايش ثورات ومطالب صار بعضها يُدار بأية وسيلة، وبعضها الآخر ما زال يُحافظ على أخلاقيات تحركه، وسنلاحظ أن التاريخ يُعيد نفسه في زماننا.

تعالوا بنا نستعرض بعضاً من خصائص الإدارة النبوية لعملية التغيير.

○ **أولاً:**

إيمان رسول الله القوي بقيمة رسالته، وأن الحق معه، فلم يكن يقبل أن تكون رسالته مرتهنة للمساومة، وكلنا نذكر حين عرضوا عليه عرضهم الشهير: « لو تريد مُلكاً ملّكناكَ علينا، ولو تريد مالاً أعطيناك حتى تصبح أكثرنا »، وذلك

في مقابل أن يتخلى عن دينه الذي يُبشِّر به، فكان جوابه لعمه أبي طالب عليه السلام الذي نقل له رسالتهم: « يا عم، واللهِ لو وضعوا الشمس على يميني والقمر على يساري، ما أنا بتاركٍ هذا الدين إلا أن يَهلكَ أو أهلكَ دونه ».

إذن.. لم يكن ليقبل بأن تكون الرسالة مرتهنة للمساومة والابتزاز، وأيةُ مطالب مهما كانت مُحقّة، إذا دخلت دهاليز المساومة، تفقد الكثير من قيمتها وتصبح ضحية للعرض والطلب.

○ **ثانياً:**

الصبر، فكما تعلمون أن أيّة عملية تغيير شاملة، لا بد وأن تواجهها عقبات وردات فعل عنيفة من المستكبرين المتغلبين على رقاب الناس، والذين بيدهم كل أدوات القوة من سلطة ومال، ومن المنطقي أن تحتاج تلك العقبات تضحيات لمقاومتها تمهيداً للتغلب عليها، ولا يمكن تحقيق التغيير دون دفع ضريبته.

والواقع أن رسول الله تعرّض لابتلاءات الصبر بأقسى مظاهرها، وكلنا نذكر مقاطعة قريش له شخصياً، ثم حصاره وبني هاشم الملتفين حوله في شِعب أبي طالب حتى اضطروا لأكل نباتات الأرض بعد أن طالت مدة الحصار لثلاث سنوات، حصار اجتماعي؛ فلا يخالطونهم ولا يتزوجون منهم، وحصار اقتصادي؛ فلا يبيعونهم ولا يشترون منهم.

وهذا يُوازي بعض العناوين في زماننا حين تُقطع الأرزاق ويُتهم الأحرار والمطالبون بحقوقهم بأنهم دخلاء على وطنهم، فيُحاصَرون اجتماعياً واقتصادياً.

○ **ثالثاً:**

اعتمد السلمية في تحركه بمكة، وحافظ على أخلاقياته رغم كل ما عاناه وأصحابه من مشركي قريش وعتاتهم، وكلنا نذكر تعذيب آل ياسر واستشهاد سمية أم عمار بن ياسر كأول شهيدة في الإسلام، وغيرها من المسلمين الذين تفنّن المشركون في التنكيل بهم لردهم عن الإسلام.

وفي المقابل، لم يلجأ رسول الله لتدبير اغتيالات الغدر لوجهاء قريش المعاندين وكبارهم كأبي جهل وأبي سفيان وغيرهما لإحداث شرخٍ ولو معنوي في صفوف الخصوم رغم إمكانية ذلك واقعياً، بل أننا نجده قد تنزّه حتى عن مقابلة التضليل الإعلامي لخصومه، والذين صاروا يتفننون في اختيار تعابير وسلوكيات تنتقص من قيمته ورسالته، ومنها:

١. اتهامه بأنه يعمل على إحداثِ فتنة داخلية بضرب الوحدة واللحمة الاجتماعية بين الأهالي، فيُفرّق بين الأب وابنه والزوج وزوجته.

٢. اتهامه بالجنون والسحر، فكانوا يتلقون الركبان القادمين لمكة ويُحذرونهم منه بتلك التعابير وغيرها لتنفيرهم عن الاستماع له.

٣. اتهامه بأنه يفتري ما يتلوه من آيات القرآن الكريم.

٤. لجوء المشركين للإيذاء المباشر برمي الأوساخ عليه والغمز والضحك والاستهزاء به وأتباعه، وبعضها نعايش مصداقها في زماننا أيضاً.

٥. المساومة؛ أي نعطيك شيئاً وتترك لنا شيئاً، ومثال ذلك أن يعملوا شيئاً من الإسلام، وهو يعملُ شيئاً من الشرك، فقالوا له: اعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة.

٦. تشويش المشركين على الرسول حتى لا يسمع منه أحد: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ** ﴾، أي أحدثوا لغواً وفوضى حتى لا يُفهم كلامه إذا صار يتلوه، وهذا التشويش أيضاً في زماننا واضح لكم، فتُمنع وسائل إعلام وتُحجب حتى لا يصل صوت (المفترى عليهم) الراغبين في الدفاع عن أنفسهم مِمّا يطالهم من أذى نتيجة لفجور خصومهم بحقهم.

٧. التشويش بالمطالب الاستفزازية التعجيزية، كطلب المعجزات، فكل يوم يفتعلون مطلباً بقصد الانتقاص وتمييع الرسالة وكسب الوقت بحيث تفقد قيمتها وجوهر مطالبها.

فمرّة يطلبون أن ينزل إليه مَلَك يُساعده في دعوته، أو يقولون: ﴿ **لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا** ﴾، ﴿ **أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا** ﴾، أو يأتِ بقرآنٍ غير هذا، وطلبوا أن يكون له بيتٌ من زخرف، وكذا طلبوا منه إعادة الموتى، مثل جدّهم قصي حتى يسألوه في صدق رسالته، وطلبوا أن يجعل لهم جبال مكة أرضاً منبسطة ليزرعوها.

وبالغوا في وقاحتهم حين قالوا: ﴿ **أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً** ﴾، وأيضاً: ﴿ **أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ**

لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَأُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً ﴾.

هي سلسلة من المطالب التي لا تنتهي، والهدف منها التمييع والانتقاص والاستدراج والمراوحة لمنع حصول أي تقدم جاد.

٨. اعتمادهم أساليب المكر والغدر، ومنها محاولتهم اغتياله حين استحسنوا اقتراح ابليس الذي جاءهم بلباس رجل نجدي، وقد عملوا لتنفيذه بأن أخذوا من كل قبيلة رجلاً، ليشتركوا في قتله، ويضيع دمه بين القبائل، وبالتالي يقضون على دعوته، ويصعب على أهله المطالبة بدمه.

وهذا المِصداق نلمسه واقعاً في زماننا حين يتشارك المستكبرون في دم المطالبين بحقوقهم، فيُوهِمون الناس بأن تلك الحقوق ضاعت، إذ يصعب مراجعة كل المتورطين في القضاء عليها إذا كثروا.

○ **رابعاً:**

عدم استعجال تحقيق الظفر والنصر والتمكين بأي ثمن، فلو كان رسول الله يستعجل النصر، لسعى لاعتماد أي أسلوب يحققه له، كما أشرنا سابقاً من افتعال التخريب والاغتيالات مثلاً؛ ولكننا نجده يأخذ بالأسباب الطبيعية موقناً بأن التزامه

الأخلاقي يُؤمّن له مصداقية تُنتج وعياً عند الناس، يتطوّر ليكون واقعاً ملموساً مستقبلاً على الأرض.

لذا نجده في ظرف معين حين اشتدت الضغوط على جماعة المسلمين في مكة، رأى أن ينتقل جزء منهم إلى الحبشة، وهي ليست في الجزيرة العربية، وهذا يُثبت أن حجم الغربة التي عاشها رسول الله كانت قاسية ومؤلمة، بحيث يضطر لأن يعتمد خيار دخول المؤمنين البحر للانتقال إلى بلد بعيد نسبياً عن موقع الرسالة الأساسي.

وحتى في الحبشة لاحقتهم قريش وحاولت تأليب النجاشي عليهم حين أرسلت وفداً بقيادة عمرو بن العاص لذلك الهدف.

إذن.. قد يتراجع الرسالي الملتزم تنظيمياً في حركته الميدانية نتيجة ازدياد الضغوط عليه، وقد تتباطأ خطواته في مرحلة معينة، ولكنه لا يتراجع أخلاقياً، بل يبقى محتفظاً بأخلاقياته الرفيعة، وإن عاش الغربة وحاصرته الأوجاع.

طوبى للغرباء الذين يُحاصرون بالتضييق اجتماعياً وإعلامياً وسياسياً واقتصادياً، ولا يُعترف لهم بمظلوميتهم ومشروعية مَطالبهم، وتُقفل في وجوههم وسائل الإعلام والبلدان، وهم مع ذلك – نفسُهم منهم في عناء – وخصومهم في راحة من غدرهم بهم.

ورغم ذلك لا نجدهم إلا أكثر ثقة بتحقق مطالبهم، وإن طال الأمد وارتفع منسوب التضحيات، فهم يُراهنون على عدالة مطالبهم من جهة، وأخلاقية أدائهم

من جهة أخرى، وقبل ذلك وبعده ثقتهم بربهم سبحانه الذي وعد الصابرين من المستضعفين وعداً حسناً، والعاقبة للمتقين.

وفي المقابل، نجد آخرين يسعون لتحقيق مطالبهم بأية وسيلة، حلالاً كانت أم حراماً، صدقاً كانت أم افتراءً، وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح.

○ **خامساً:**

بقي رسول الله مركّزاً في حركته على خدمة رسالته الحقة، ولم ينشغل عنها بعقدة الحاجة للانتقام الشخصي، فلم يقلْ في أي مرحلة من مراحل حركته أني أريد النصر حتى أرد الاعتبار لنفسي، وأنتقم من فلان وفلان!

فلم تغيّر الابتلاءات وضراوة الخصومة من أولوياته، وبقيت بوصلته متجهة نحو إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى بما يتناسب و(قيمة محمد) وليس (قيمة خصومه).

ولهذا حين تم له فتح مكة، كان رهان خصومه أنفسهم على أخلاقه، حين قال لهم: «ما تظنون أني فاعل بكم»، فقالوا: خيراً.. أخٌ كريم وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا، فأنتم الطلقاء».

بلى.. لم يأخذ بخصومته مع الآخرين لأي اعتبار شخصي غرائزي، فلم يكن يُعاني من عقدة نقص أمام خصومه، ولم تحرّفه الصعوبات عن بوصلة رسالته لأي اعتبار ضيّق، ولو كان مرحلياً.

○ **سادساً:**

حافظ رسول الله على كل التزاماته التي تعهد بها لخصومه حتى في حالات شعوره بنشوة القوّة، فقد التزم بتعهداته في صلح الحديبية كمثال، والتي نص أحد بنودها بأن يردَّ المسلمون مَن يأتيهم مِن قريش مسلماً بدون إذن وليّه، والتزم بذلك.

هذا بعض ما سمح به الوقت لاستحضاره في هذه الوقفة، وحريٌّ بنا أن نستلهم سيرة رسول الله في ثورته التي غيّر بها تاريخ المنطقة والعالم من ساعة بعثته وإلى قيام الساعة، ونبقى موقنين بنصر المستضعفين المتمسكين بمطالبهم وأخلاقياتهم النبويّة المصدر، وإن طالت غربتهم، وقلّ ناصرهم، وكثُرَ خصومهم، وحُوصِرت مظلوميتهم، وتعاون عليهم المستكبرون، وتنكّر لحقوقهم القريبون والبعيدون، فما ضاع حق وراءه مُطالب، ولا ضاعت مَطالب أمامها أخلاقيات كريمة ترشِّدها وتوجّهها وتحفظها [٣].

قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**﴾.

(٣) تم إعدادها بتاريخ ٢٧ رجب ١٤٣٣هـ الموافق ١٨ يونيو ٢٠١٢م.

| فشخرة القرقيعان |

27

نشرته في المنتديات الحوارية بتاريخ ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٧م.

واحدة من أبرز ملامح المناسبات الشعبية، أنها ملتقى لجميع أبناء المجتمع على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم، ولأنها كذلك فإن أيَّ تغيير في الاحتفاء بها، سينعكس أثره على الآخرين، وهنا تجدر الحاجة لاستحضار ملامح ذلك الأثر وقياس إيجابياته وسلبياته على المدى القصير والمتوسط والبعيد سواء على قيمة المناسبة عند الناس وضرورة الحفاظ على أصالتها عندهم، أو على الناس أنفسهم وضمان تواصلهم معها من خلال صد المعوقات التي يمكن أن تحرمهم من التفاعل المطلوب معها.

القرقيعان مناسبة شعبية بامتياز، فقد نشأنا ونحن نحتفي بها، وقد توزعنا الأدوار فيها، فطِفلنا يعرفُ دوره فيها ويُقبل عليه باندفاع لافت، وكبيرنا أيضاً، وهي في مجملها أدوار عفوية تخلو من التكلُّف، إذ يفتح الأهالي أبوابهم لاستقبال الأطفال الذين يُنشدون أهازيج معروفة خاصة بالمناسبة، ويكون من الأهالي إكرامهم بما أعدوه لهم من حلويات أو مأكولات خفيفة أو قروش معدنية أو غيرها.

ولأنها مناسبة شعبية وطقوسها متشابهة، كان أن غابت عنها ملامح الطبقية، فتكاليف الاحتفاء بها متقاربة، وهو ما اكسبها أصالة تتوارثها الأجيال على اختلاف طبقاتهم، واستحقت بامتياز أن تكون فرحة شعبية للأطفال جميعاً.

ولكن بتنا نرصد سلوكيات لبعض أفراد المجتمع نلمس خطرها على هذه المناسبة، وخاصة باعتبارها مناسبة شعبية، فبعضهم لم يعد يكتفي بالاحتفاء التقليدي بالمناسبة، بل عمِد لابتكار برنامج خاص به دون مراعاة الآخرين وظروفهم ومدى إمكانية أن ينعكس سلباً تفعيل ذلك البرنامج الخاص عليهم وعلى المناسبة نفسها.

صار بعضنا يتسابق مع ذويه في إبراز أثر النعمة التي استقرت عنده من خلال تخصيص قرقيعان مستقل لأحد أبنائه الذي لا يتجاوز عمره أشهراً أحياناً، وذلك بتحضير قرقيعان باسمه يحوي هدية باسم ابنه مرفقة بصورة له، ويقوم لاحقاً بتوزيعها على أقاربه ومعارفه باعتبارها قرقيعانه، والمفترض عُرفاً هو حصول الطفل على قرقيعان من الآخرين، وليس أن يحصلوا منه على ذلك، فضلاً عن أنه صغير جداً ولا يعي شيئاً حوله.

خطورة هكذا برامج خاصة تحتفي بالمناسبة تكمن في التالي:

أولاً:

أنها تستهدف مناسبة شعبية كما أشرنا، وأي تغيير في برنامجها وتفعيل ذلك التغيير مع الوقت سيؤثر على أصالتها ويفقدها عفويتها التي ضمنت لها الاستمرار طيلة العقود الماضية.

ثانياً:

أن هذه البرامج الخاصة استدرجت الأهالي للتسابق المادي فيها، وأصبح ملموساً للمتابع المدى الذي بلغه ويُرجَّح أن يبلغه مستقبلاً إذا لم يتم وقف تضخمه، وخاصة أن البرامج الخاصة بطبيعتها تستجلب محاولة الابتكار والتميِّز.

ثالثاً:

أن هذه البرامج الخاصة تبرز الطبقية، وهو ما يُؤثر على التفاعل الشعبي معها مستقبلاً، وبتنا نلمس تعاظم الشعور بالنقص عند ذوي الدخل المحدود أو مَن في حكمهم إذا ما عجزوا عن الوفاء بمتطلبات ذلك التسابق.

رابعاً:

توقيت المناسبة يأتي في أكثر مواسم العام استهلاكاً للمدخرات المالية، وهو ما يمس بشكل مباشر الالتزامات الأخرى للأهالي، وخاصة ذوي الدخل المحدود، فهو يأتي بعد أن استحوذت مؤنة رمضان على نصيب مهم من تلك المدخرات، وهناك التزام مالي قادم مهم جداً، وهو عيد الفطر المبارك، وهو ما يعني أن توقيت القرقيعان يتوسط التزامات مُلحة، ويلزم الاستعداد لها وضمان الوفاء بها، وهو هاجس يجب أن لا يغيب عنا في رصد الاحتفاء بالمناسبة وأثره على ذوي الدخل المحدود حاضراً ومستقبلاً.

إنها دعوة صادقة لأن يستحضر أحدنا أهمية الحفاظ على المناسبات الشعبية وضمان تفاعل الجميع معها، وعدم التسرّع في ابتكار برامج خاصة يمكن أن تؤثر سلباً على قيمة المناسبة والتعاطي الشعبي العام معها مستقبلاً.

وهي ليست دعوة ذات مضمون اقتصادي فحسب، بل دعوة تتجاوز ذلك إلى ضرورة الحفاظ على القيم الإنسانية الجميلة التي ترسخها هذه المناسبة الشعبية بين أفراد المجتمع، والتي يمكن أن نخسرها فيما لو تركنا المادية الرأسمالية تعصف بها دون ضابط، كما عصفت بالعديد من سلوكياتنا ومناسباتنا الشعبية والدينية.

ومثال ذلك، بتنا نلمس الأثر الذي أحدثته الرأسمالية المادية في تعاطينا مع شعيرة الحج الأكبر، والتي أثرّت على روحية التعاطي مع تلك الفريضة التي ارتبطت بمحاربة الطبقية في التنظير الشرعي لها، وذلك بأن أصبحت بعض حملات الحج تقدم نفسها في ثوب الخمس نجوم مقارنة بغيرها في منافسة أكلت الكثير من الروحية ومحاربة الطبقية التي يفترض أنها إحدى رسائل هذه الشعيرة.

الرأسمالية المادية ما أتت على سلوك أو مناسبة إلا ونزعت منها عفويتها الشعبية الإنسانية، وألبستها ثوباً تجارياً جافاً يُفرز الناس ويحرم بعضهم منها تدريجياً.

| الهدايا الملغومة |

28

يروى أن عثمان بن عفان أرسل إلى أبي ذرّ الغفّاري بِصُرّةٍ فيها نَفَقَةٌ على يد عبدٍ لَه، وقال: إن قَبِلَها فأنتَ حرٌّ.

فأتاهُ بها، فلم يقبلها. فقال -العبد-: اقبلها- يرحمك الله- فإنّ فيها عِتقِي. فقال -أبو ذر-: إن كان فيها عِتْقُكَ فَفيها رِقِّي، وأبى أنْ يقبلها [٤].

الرق في اللغة: العبودية وإزالة الحرية، وسمي العبيد رقيقاً، لأنهم يرقون لمالكهم، ويذلون ويخضعون، والرقيق هو المملوك.

كم هدية جاءت بالرق للإنسان الذي قَبِلَها، وصار بعدها مملوكاً لغيره.

الرق له أشكال وألوان، وبعضها ما زلنا نعايشها، ومنها تطويق الإنسان بالإحسان إليه بحيث يفقد قدرته على المبادرة بالمعارضة لأي موقف خاطئ يحصل مِن المحسن إليه.

قد يستسلم المرء أحياناً لقبول الإحسان إليه من دخلاء على حياته في ظرف معين، وخاصة إن كان يأتيه إحسانهم بإلحاح وباندفاع يصعب ضبطه والتحكم به ومغلفاً بعناوين المحبة الخاصة والمودة الحميمة.

(4) **لباب الآداب:** أسامة بن منقذ، ج ١ ص ٣٠٥.

هي دعوة لأن ينتبه المرء للهدايا المفخّخة، فبعض الهدايا تأتيه ملغّمة باستعباده وسلبه حريته، وبالتالي شراء حاضره وتقرير مصيره.

وهنا أستحضر مقولتين منسوبتين لأمير البلاغة الإمام علي عليه السلام، وهما: « أحسن إلى مَن شِئت تكن أميره »، وقال أيضاً: « أفضل على مَن شئت يكن أسيرك ».

وهما بنفس المعنى كما نلاحظ، والواجب أن نختار مَن يكون أميراً علينا بإحسانه، ومَن نكون أسرى لتفضّله، ولا نترك الآخر يسترقّنا بإحسانه وتفضله علينا من زاوية تشخيصه لمصلحته الذاتية وليس بالضرورة لمصلحتنا، والتي نحن أولى الناس بتقريرها لأنفسنا بلا وصاية مِن غيرنا علينا كما يحصل حين نكون أسرى لإحسان أحدهم معنا.

| ورقة وقلم |

29

على المستوى الشخصي، ومن خلال تجربتي المتواضعة بالحياة، وجدت أن التعبير المكتوب أبلغ في وصول المشاعر للآخرين، وخاصة القريبين؛ وأستحضر هنا حادثة حصلت معي، فقد اتصل بي ولي أمر طالب من الطلاب المتفوقين، وكان قد تم ضبط ابنه يغش في الامتحانات النهائية بالمرحلة الثانوية، وطلب مني رأيي فيما حصل مع ابنه المراهق.

قلت له: ابنك يحتاج جرعة من تعزيز ثقتك به وبقدراته، هو الآن يعيش مرحلة صعبة بحكم انكشاف ذلك منه وحصول انزعاج من أمه وأبيه ومن بلغه الأمر من أهله وزملائه ومعلميه ومعارفه؛ والمطلوب منك الآن انتشاله من هذا الموقف بتجديد الثقة به.

قال لي: وكيف السبيل لذلك؟!

قلت له: خذ ورقة وقلماً، واكتب فيها ما تريده من ابنك، وذكّره بأنك ما زلت تراهن عليه وتثق بقدراته، وأنك لن تسمح لهذا الموقف أن يأخذ أكبر من حيزه الزمني، وأن ثقتك به أكبر من أن يزعزها موقف شاذ.

ولا تنسَ أن تكتب كلامك بخط يدك، فهو أبلغ في وصول محتوى الرسالة له، ولا تنسَ توثيق الرسالة بتاريخها، وتأكد أنها ستبقى معه كوثيقة يعتز بها ويستأنس بوجودها أمام أي عقبة تمر به في مستقبل حياته.

بعد مدة التقيت بالأب، وقد أرسل ابنه للدراسة بالخارج بعد تخرجه، ونقل لي سعادته بالأثر الإيجابي لتلك الرسالة، وقد أبلغني أنه كرّرها حين ذهب يودع ابنه في المطار، فسلّمه رسالة ثانية تحمل مضموناً مناسباً لتلك المرحلة وموثقة بتوقيعه.

الكثير من الانفعالات المرحلية يمكن تجاوزها برسائل مكتوبة، فهي تحوي تركيزاً على المشتركات والإيجابيات عادةً، وأثرها مجرب، وخاصة مع القريبين.

رائع ذلك الزوج الذي يترك رسالة مكتوبة بخط يده لتقرأها زوجته وهو خارج المنزل؛ فمجرد استحضارها لفكرة أن زوجها خصها بكلمة مدعاة لدخول السرور لقلبها، والأمر نفسه من طرف الزوجة إذا ما فعلت ذات الشيء.

جميل أن يعتاد الزوجان توثيق مشاعرهما تجاه بعضهما بخط يدهما، والأجمل منه ذلك الأثر الذي يتركه محتوى تلك المشاعر على مسيرة حياتهما التي يكاد يأتي عليها الروتين في أحيان كثيرة مع الاستقرار العاطفي الذي يسود الحياة الزوجية، وتحتاج لجذوة من نار تحرّك ما سكن فيها بين فترة وأخرى، ولا أبلغ من ابتكار الأفكار المستجدة لذلك.

| الوعي |

30

في جلسة حوارية، سألني أحد الأصدقاء هذا السؤال: بماذا نقيس وعي الإنسان؟

أجبته: الإنسان (الواعي) بالحد الأدنى، هو الذي يستفيد من أخطائه ولا يكررها، فإذا كان يستفيد من المواقف التي تصيبه وتؤثر فيه، فهو واعٍ.

ونحن بهذا نقيم الحجة على المرء إذا اختصرنا عليه المقياس، بأن نطلب منه التبصّر في أخطائه السابقة، ولا نلزمه بأخطاء الآخرين التي ربما لم يعرف بها أو عنده قصور في معرفة تفاصيلها.

والسؤال الآن: هل نستفيد حقاً من أخطائنا السابقة، ونعمل على عدم تكرارها، وبالتالي تفادي الوقوع في أضرارها مجدداً؟

كم مرة نكرر الخطأ أو شبيهه أو ربما ما هو أكبر منه؟

كم مرة نلدغ من ذات الجحر؟

وسألني ثانٍ: وكيف نقيس وعي الفرد في مجتمعه؟

فأجبته: ربما يكون قياس وعيه في مجتمعه من خلال إدارته للأولويات في حركته الاجتماعية، فيلمس المحيطون به أنه يُحسن إدارة الأولويات، ويُقدّم الأهم على المهم، ولا ينشغل بالتوافه وما لا فائدة منه.

وسألني آخر: هل يصح أن نقول: كل واعٍ مثقف، وكل مثقف واعٍ؟!

فأجبته: ربما يصح القول أن كل واعٍ مثقف، وقد لا يصح العكس؛ وذلك لأن مناط قياس الأمور هو الممارسة الواقعية العملية، وليس الأفكار والرؤى النظرية الثقافية المنفصلة عن التطبيق.

| الأنانية |

31

يحتاج الإنسان أن يكون أنانياً في بعض المواقف، فحب الذات ليس خطيئة إذا كان حبها هو خط دفاعنا الأول أو حتى الأخير لوقاية أنفسنا من الوقوع ضحايا في الأخطاء المشتركة مع الآخرين.

كم أخذتك حاجاتك – وأنت الإنسان غير المعصوم – لمواقف خاطئة، وكم حاصرتك الاتهامات بأنك نذل في بعض محطاتها، ليس لأنك تقوم بفعل (النذالة)، بل لأنك حاولت إنقاذ نفسك من تبعاتها بممارسة شيء من الأنانية لصالح نجاح عملية الإنقاذ المؤلمة، ولكن يأتي مَن يمنعك من فعل ذلك باستقباح الخطوة، واعتبارها جريمة بحق الشركاء في الخطأ، وذلك لمجرد أنكَ حاولت استدراك السفينة قبل أن تغرق بك وبهم.

وإذا حصل وغرقت السفينة، تستدرك (حيث لا ينفع الاستدراك) عدد الفرص التي أتيحت لك لممارسة الأنانية والتمسك بها لإنقاذ نفسك، ولكنك لم تستغلها، وبقيت رهيناً للتسويف، والأمل أن تعطِفَ عليك الظروف الخارجية وتنقذك مما أنت واقع فيه ومُدان به، ولكن القدر رغم كرمه وطول نفسه، له عصا يُباغِتُك بها، ولا تملك معها إلا الحسرة والندم واستحضار قيمة الأنانية التي لم تستفد من دوافعها لإنقاذ نفسك مما آل إليه مصيرك.

لسان حال المرء حينها: كان بالإمكان أن لا أُصلح حال غيري بفساد نفسي؛ كان بالإمكان أن أتمسك بموقف حاسم في تلك المحطة وزميلاتها من المحطات، وأتحمل ألمها المؤقت، وأتقبّل التوصيفات الجارحة التي يمكن أن ينعتني بها بعضهم، فقد يرى بعضهم استحقاقي لعبارات من قبيل: نذل / أناني / مجرم... إلخ.

كلها عبارات يشعر أنها ستكون أخف عليه مما هو فيه من حسرات وآلام تتضخم وتتمدد في حاضره وتطال مستقبله، وتتضاعف أوجاعه في نفسه حين يستحضرُ أن طيبته كانت نقطة ضعفه التي تسلّلت منها تلك الأخطاء واستمرت.

طوبى لمن استفاد من حبه لذاته واستثمر أنانيته في إنقاذ نفسه من عواقب بعض أخطائه، وتعساً لمن لم يستفد من ذلك وعاش متوجساً مترقباً استحقاقه لفعل عصا القدر فيه يوماً ما.

طوبى لمن ظفر بالعلاج حين توفر له بدرهم أو بدينار أو حتى بقنطار، ولم يُلهِه الأملُ حتى استصعب واستحال لاحقاً.

(ماذا عن الأم التي تضحي من أجل أبنائها حين تستمر مع زوجها وتصبر على إيذائه لها، وتقدم مصلحة أطفالها على حبها لذاتها وأنانيتها، فتفوّت فرصة النجاة بجلدها من الارتباط بزوج لا يقدّرها؟! هل تكون مخطئة بذلك حين عطلت أنانيتها في هكذا موقف؟)[٥].

(5) مداخلة زميلة بمنتدى حواري.

الموضوع يرصد الأخطاء المشتركة مع الآخرين، بمعنى أن يكون طرفا التواصل بينهما خطأ، ومثال ذلك التواصل بين الرجل والمرأة الأجنبيين عن بعضهما بحيث يأخذهما ذلك لمساحات محفوفة بالمخاطر الدنيوية والأخروية، وبالتالي يفترض المقال أن على الإنسان أن يحسم قراره، ولا يلتفت لضغوطات الطرف الآخر لينجو بنفسه وبشريكه من تبعات متوقع أنها مدمرة.

ولذا قلت أن (حب الذات) بما يأخذ بصاحبه لإنقاذ نفسه من عواقب أخطائه، هو أحد أجهزة المناعة التي معه، وعليه الاستفادة منها في مثل تلك المواقف.

أما بخصوص تضحيات الأم، فهي لا تقوم بخطأ حتى نطلب منها تقديم حب ذاتها وأنانيتها للتخلص منه، بل هي تقوم بفعل عظيم تستحق به رضوان ربها والفوز بوعده للصابرين، فضلاً عن أن الأم الواعية تحقق ذاتها من خلال أمومتها، وكلما ارتفع منسوب صبرها استشعرت قيمة حياتها، فما قيمة حياة المرء إن كانت حياته بلا مصاعب ولا تضحيات.

هناك فرق بين مصطلحين، مصطلح (خسائر) ومصطلح (تضحيات)، فالتضحيات يُفترض أنها مساحة المؤمن لقياس عطائه وقيامه بأمانته، وارتباطه بربه وإيمانه بوعده، فيعيش قانعاً راجياً فضله.

أما الخسائر، فهي تلك الحالة التي تصيب غير المؤمن حين يجد في كل سوء يُصيبه خسارة لا تعويض بعدها، فتجده إذا حاصرته المصاعب هرب منها جزعاً، وربما أخذه ذلك لارتكاب أخطاء يصعب عليه لاحقاً تداركها.

ومثال ذلك أن تكتشف المرأة خيانة زوجها لها، فتهرب من وجعها بارتكاب حماقات ومخالفات كبرى، ظناً منها أنها بذلك تعاقبه وتنتقم منه، والواقع أنها تضر نفسها وتدمر كل مكاسبها، فتخسر دنياها وآخرتها.

عظيمة تلك المرأة التي تحفظ أسرتها، وتحتسب عند ربها صبرها، فو الله إنّ وعده حق، وهو سبحانه يعلم بتضحياتها، وهو أرحم بها من رحمتها بأطفالها، فطوبى لمن تقرّبت لله سبحانه بحفظها لزوجها وأطفالها.

قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾.

| الاغترار |

32

الاغترار بحسب ما أفهمه، هو أن يكون لدى الإنسان مكسبٌ ما، ويتضخّم شعوره به، بحيث يُبيح لنفسه بناء عليه التجاوز على حقوق غيره استناداً لذلك.

يكون أحدهم مغتراً بمكسبه، ولتصبح الميزة التي يملكها سبباً لهلاكه وخسارته لغيره، بدلاً من أن تكون سبباً لارتقائه بنفسه وكسبه لمودة غيره.

ومثال ذلك، أن يغترّ أحدهم بماله، أو بجماله، أو بعشيرته، أو بعافيته وشبابه، أو يغتر بعلمه... إلخ.

- كم موظفة متزوجة اغترت بمالها، بحيث أخذها ذلك لأن تبيح لنفسها ارتكاب حماقات مخالفة لتعاليم دينها، فكان استقلالها الاقتصادي دافعها للثقة المزعومة بالنفس، والتي تضخّمت في نفسها بحيث لا ترى في تجاوزاتها الشرعية إلا مظهراً من مظاهر استقلالها.
- كم رجل اغتر بعلمه، بحيث يأخذه ذلك للانتقاص من علم غيره والاستهانة به، وربما التبرير لنفسه بأن ينال من غيره والحكم الجائر عليهم.
- كم شاب اغتر بشبابه وعافيته؟! وأخذه ذلك للتجاوز بحقوق الآخرين بسلوكيات طائشة تضرهم وتعتدي على حرماتهم وممتلكاتهم.

- كم فتاة اغترت بجمالها؟! وأخذها ذلك لأن تبرّر لنفسها الانغماس في مخالفات شرعية وعرفية بسبب ذلك.
- كم شاب اغتر باسم عشيرته؟! وأخذه ذلك لأن يُبيح لنفسه التطاول على أبناء العائلات الأخرى.
- كم شاعر اغتر بملكته الأدبية؟! فأخذه ذلك لأن يبرّر لنفسه الانغماس في المفاسد والترويج لها.
- كم صاحب طلّة مازحة اغتر بملكته في إضحاك غيره بعباراته وحركاته الغريبة؟! فبرّر لنفسه انغماسه في السخرية الجارحة بغيره، والافتراء عليهم والتعدي على حقوقهم وحرماتهم.

وكم.. وكم.. وكم.. ؟!

شواهد كثيرة نلمسها في الواقع لنماذج المغترين، والذين تكبر قيمة مكسبهم في أنفسهم بحيث لا يرون للآخرين حرمة ولا يرون للتعاليم الدينية والأعراف الاجتماعية قيمة.

وهناك اغترار من نوع معاكس، مثل الاغترار بالضعف؛ وذلك بأن يغترّ أحدهم بضعفه، فيُبرّر لنفسه أخذ مال غيره مثلاً.

وأقرب مثال لذلك حين يسرق العامل الضعيف الحال من مال ربّ العمل بحجّة أنه ميسور الحال، فيكون العامل مغترّاً بضعفه – إن صح التعبير–، ومستخدماً إياه في تبرير تجاوزه لحقوق غيره.

هي دعوة لنا لأن نراجع سلوكياتنا، فإذا كانت تحوي اغتراراً بمكسب معين، ينتجُ عنه بشكل أو آخر تجاوزات بحق الآخرين أو التعاليم الدينية والأعراف الاجتماعية، فواجبنا التنبه لضررها على دنيانا وآخرتنا، والعمل على وقفها.

| المستجدون في حياتي |

33

أعطيت القليل والكثير هنا وهناك، ولست نادماً على ذلك، ولكني ما عدت قادراً على العطاء أكثر !

ولذلك أخشى على المستجدين في حياتي أن أظلمهم معي حين أخذلهم، فهم يُراهنون على ما يتوقعونه مني بخلفية معرفتهم السابقة عني، وأنا أخشى من توقعاتهم وأعيش معها صراعاً، فتوقعاتهم إما عبء يُرهقني أو فرصة تستنهضني.

| المواقف الإنسانية فرصتك |

34

وصلتني رسالة إلكترونية من أحدهم، وهذا محتواها:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حين يُخطئ الشخص بفعل معين أو قول تجد ردة فعل بعض الناس سلبية معه، فتوثق عنه صورة نمطية سيئة، ولا تقبل منه بعد ذلك أي مشاركة فيها مودة معهم من جانب المخطئ حتى بعد اعتذاره لهم.

وسؤالي هو: ما الذي يجب فعله من طرف هذا الشخص المخطئ في نظر الآخرين كي يتقبلوه ويتم تغيير الصورة السلبية عنه، فيسترجع ثقتهم المفقودة به من أثر الخطأ السابق.

أشكرُ لكَ صدركَ الرحب أستاذ يوسف، وفي انتظار إجابتك عن هذا التساؤل بأقرب وقت ممكن.

وجوابي له:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ركّز في هذه النقاط، وحاول الربط بينها:

١. ليس للناس مصلحة في الجفاء مع شخص للأبد.

٢. الناس لديهم اهتمامات ومشاغل وأمراض ومصائب ومشاكل أخرى، وليست متفرغة فقط للنظرة السلبية عن شخص معين طول عمرها، فالناس تأخذهم الأيام وتصاريفها إلى أمور أخرى، فلا حاجة لأن يعتقد الشخص أن الآخرين سيبقون متفرغين للتصرف بسلبية تجاهه.

٣. الناس سواء اليوم أو غداً ستأخذهم حاجاتهم لطلب مساعدتك لهم، فلا يمكن لهم أن يبقوا في معزل عن التواصل مع الآخر الشريك لهم، ولو لتوصيل شيء معين في ظرف معين.

أقصد من ذلك أن الأيام تأخذ بالناس للتواصل الطبيعي، ولا حاجة للتحسس من تأخر ذلك، والناس للناس.

ولذا يكون من الأهمية أن نستثمر تلك الفرص ونحسن التعامل معها، وهي فرصة لنثبت للآخرين أننا نافعون، ولنا إضافات إيجابية يمكن أن تنال استحسانهم.

لاحظ أن حاجات الناس متجددة، ولا يوجد لها حد، وبالتالي فإن احتمال حصول التواصل مستقبلاً بين هذا الشخص ومحيطه وارد جداً، ولنفترض أن هذا الشخص يعمل في العاصمة أو أي مدينة أخرى، لا بد أن الناس ستحتاج له في خدمة معينة، وعليه استثمار المواقف الإنسانية في ذلك.

ومن ذلك مواقف الأفراح كالزواج أو مواقف الحزن كالوفيات، فوجوده مع أهل العزاء ولزومه مجلسهم مما يُحسب له، وليس صحيحاً أن الناس لا تؤثر فيها المواقف الإنسانية والتواصل معهم فيها.

أحدهم ربما تعرّض ابنه لحادث أخذه إلى التنويم بالعناية المركزة، وهنا لو حرص هذا الشخص على المداومة في زيارته بشكل شبه يومي، فإن حضوره ذلك لا يمكن أن يمر بدون تقدير ذلك له، فاللحظات الإنسانية تظهر معادن الناس الحقيقية، وهي فرصة للتكافل والإيجابية بين البشر.

نصيحتي لهذا الشخص أن يُراهن على الوقت، ولا يستعجل قطف ثمار تحركاته الإيجابية، ويستثمر الفرص الإنسانية التي ستأتي بها الأيام له لتعزيز تواصله مع الآخرين، وليثبت لهم أن لديه ما يقدمه لهم من إضافات إيجابية في حياتهم.

على هذا الشخص أن لا يغفل أن الناس كرهت منه سلوكاً معيناً، وبالتالي كرهت تفاعله معهم بناء على ذلك، والعكس صحيح، فلو أحبوا منه سلوكاً جديداً إيجابياً، فالأكيد ولو بعد حين ستحبه منه وتشكره عليه، فإذا خلق الإنسان واقعاً جديداً أمام الآخرين، فإنهم سيعاملونه بناء عليه.

وربما يقول هذا الشخص: ولكنهم لا يعطوني فرصة، ويتحاملون عليّ!

لا حاجة للهث وراء من يتحامل عليك لإدراك رضاه بعد أن تم الاعتذار رسمياً له، فخطوة الاعتذار وما في حكمها كافية، وعلى الإنسان الآن أن لا يتوقف عند محطة معينة كلها سلبية في حياته، بل ينشغل بغيرها ويواصل مسيرته، والذين لا يريدون التواصل معه، لا حاجة لأن يحرص عليهم، فمن لا يراك مكسباً له، لا منطق في أن تحرص عليه وكما لو كان رأس مال عندك، فلا حاجة لأن تتحسر طيلة عمرك على إنسان يتعمّد مقاطعتك حقداً.

ولا معنى لمحاصرة نفسك بزنزانة نظرته الضيّقة، وكأنك لا ترى في العالم إلا شخصه، بل على العكس من ذلك، انطلق في حياتك، وازرع الخير بمبادرات إيجابية، ولا تستعجل ثمار ذلك، والأكيد أن الأيام كفيلة بأن تنصفك، والآخرون بشر مثلك، ولديهم أحاسيس ومشاعر، وهي قابلة للتحرك والتذبذب بناء على ما تجرفها الأيام له من مقابلة تصرفات الآخرين تجاههم.

أعرف شخصاً كان الكثيرون يسمونه بالحمق والطيش، والآن حتى مَن يختلفون معه، يعترفون له بأنه مثال رائع للرجل العصامي المثابر، لأنه لم يقتل نفسه بانطباعاتهم السلبية عنه مطلع حياته، بل اعتبر موقفهم منه أحد تحديات حياته التي يجب أن ينتصر فيها، وانطلق للعمل في إحدى المدن الكبرى بأكثر من وظيفة بين حكومية وخاصة، وليلمس الآخرون أنه جاد في بناء نفسه، فكان له أن حظي الآن بتقدير المحيطين به، فهو الآن أب لأسرة، ومندفع في المجالات المختلفة ومنتج فيها مما أكسبه احترام الجميع له.

وخلاصة القول، بأنه ليس صحيحا أن الناس متفرّغة ولا شغل لها إلا موقفها السلبي من أحدنا، فلديها مشاكلها الذاتية، والأيام كفيلة بأن تخلق بيننا وبين الآخرين فرصاً للتواصل الإنساني، وعلينا استغلال تلك الفرص لكسب ودهم وتقديرهم، ولا حاجة لاستعجال قطف ثمار ذلك، فالأكيد أن ثمار ذلك إيجابية ولو بعد حين.

ومن يُصر على موقفه السلبي منا بعد كل ذلك، فلا حاجة لأن نشغل أنفسنا به، فليمت بغيضه وحقده.

ولكن علينا أن نعين الآخرين على محبتنا، بأن نضعهم أمام مواقف يروننا فيها إيجابيين، ومن يحاول التصيّد لأخطائنا، فإنه سيجد نفسه ضعيف الحجة في ترويج مزاعمه السلبية عنا، لأن الآخرين سيرصدون تحامله بالنظر لما يعرفونه من إيجابيات لمسوا حضورها في تواصلهم معنا، فلا يمكن لأحد أن يتغافل عن الجانب الممتلئ من الكأس الذي قمنا بإنجازه.

وفي نهاية المطاف، البشر الآخرون لهم حساباتهم المستقلة عن أي حاقد ومبغّض، فهم لا يقبلون أن يبنوا علاقتهم بشخص من موقع تشخيص شخص آخر، بل دائماً يُفضلون إثبات استقلالهم، وهذه فرصة علينا استثمارها لفرز المبغّض عن غيره، وفقكم الله تعالى.

(كلام سليم، ولكن ماذا لو كان هذا الشخص مِمَّن يجب علينا الحصول على رضاهم كالوالدين، فأنا أعرف شخصاً قد توفي والده، وهو ساخط عليه منذ أكثر من عشر سنوات)[٦].

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث كما هو مشهور، ومنها ولدٌ صالح يدعو له، ولذا يُمكن له بر والديه بعد موتهما، بأن يُكثر من الترحم عليهما والدعاء لهما، وإهداء الأعمال الصالحة لهما، مثل التصدّق نيابة عنهما، وقراءة القرآن الكريم وإهداء ثواب ذلك لهما، والحج والعمرة نيابة عنهما، وغير ذلك كثير من الأعمال الصالحة.

(6) مداخلة من زميل بأحد المنتديات الحوارية حين نشرتها فيه.

كل ذلك مما له أثر طيّب، ورب العالمين يوفق له رضاهما عنه نتيجة لذلك بلطفه وإحسانه.

قال تعالى: ﴿ **يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾.

وعن أنس قال: « بينا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ جالسٌ، إذ ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما الذي أضحكك يا رسول الله؟

قال: رجلان من أمّتي جثيا بين يدي ربّ العزّة، فقال أحدهما: يا ربّ خذ مظلمتي من هذا، فقال الله تعالى: رد على أخيك مظلمته، فقال: يا ربّ لم يبقِ من حسناتي شيء، فقال الله للطالب: كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء؟ فقال: يا ربّ فليحمل عنّي من أوزاري، ثم فاضت عينا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بالبكاء، فقال: إنّ ذلك اليوم عظيم، يوم يحتاج الناس إلى أن يُحمل من أوزارهم.

قال: فيقول الله تعالى للمظلوم: ارفع بصرك، فانظر في الجنان، فقال: يا ربّ، أرى مدائن من فضّة وقصوراً من ذهب مكلّلة باللؤلؤ، لأيّ نبيّ هذا ولأيّ صدّيق أو لأيّ شهيد؟

قال الله تعالى: لمن أعطى الثمن، قال: يا ربّ، ومن كان يملك ذلك؟

قال: أنت تملك، قال: بماذا يا ربّ؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا ربّ، فقد عفوت عنه، قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخل الجنّة.

ثم قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: فاتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإنّ

الله يُصلح بين المؤمنين يوم القيامة »[٧].

بلى.. فضل الله مأمول في هكذا مواقف، ولذا على الإنسان أن يجتهد في التقرّب لله تعالى بعمل الصالحات وإهداء ثوابها لمن أخطأ بحقهم من الناس الذين ارتحلوا للعالم الآخر، وذلك مما يُثاب عليه، ويكون سبباً في تواصله معهم ونيل رضاهم عنه نتيجة لذلك، فذلك من مصاديق الاعتذار للناس بعد موتهم، والله أعلم.

(7) **المحجة البيضاء**: ج ٣ ص ٣٧٣.

| ابدئي المواجهة |

35

كتبت هذا الرد لطالبة مُقبلة على تحديات الدراسة بالخارج بعد ملابسات كلها قلق وتردد، وقد راسلتني إلكترونياً بمخاوفها.

انتبهي لأمر مهم جداً في هذه المسائل [مسائل الخوف والمواجهة]، وهو أننا كلما أطلنا مدة التجنب وعدم المواجهة، كلما زاد الخوف وتصلّب داخلنا، مما يمنعنا في النهاية من المواجهة، وهو ما يزيد القلق والتوتر، وهكذا حتى ندخل في دائرة مفرغة لا تنتهي.

ينبغي قطع هذه الدائرة بالمبادرة للمواجهة بسرعة، وإذا تأخرنا في ذلك – كما هي الحال معكِ –، فيجب أن تكون المواجهة متدرجة ومخططاً لها، وأنا أُفضل التخطيط المكتوب والمبني على استشارة الآخرين.

ضعي في اعتبارك أن معظم قلقكِ ربما يكون من النوع الذي يُسمى: قلق الإنتاج أو الهوس بتحقيق الدرجة الكاملة دائماً، وليس خوفاً من الدراسة نفسها، ولا من البيئة الدراسية الجديدة.

وعيكِ بهذا قد يُخفف من القلق، وبمجرد أن تبدأ المواجهة سيخف القلق مع مرور الوقت، وتدخلين مرحلة الاندماج والانغماس في الموضوع، والأمر يتطلب بعض الصبر والمعاناة، فهذه سنة الحياة كلها، فهناك علاقة طردية بين مقدار قلقنا من شيء، ومقدار فرحتنا باجتيازه والنجاح فيه.

لا أملك لكِ نصيحة أفضل من أن أقول لكِ: ابدئي المواجهة.

| الناس منه في راحة |

36

شكا لي أحد الأصدقاء، وهو مدير لقسم في جهة حكومية، معاناته مع زملائه الذين يرأسهم، فهم يرتكبون بعض المخالفات التي تلزمه التصرف حيالها، ولكنه يشعر بحرج شديد من التصعيد واستخدام الطرق الرسمية في مقابلة تقصيرهم، ولذا يجتهد لمداراتهم والرهان على الوقت لنمو حس المسؤولية لديهم، ويحاول ضبط الأمور بما يجنبه الصدام مع زملائه، ويعاني من محاولته مقاربة الأمور وتسديدها في قسمه.

ولكن أحدهم صار يفهم ذلك بأنه مؤشر ضعف، وصار مع الوقت يتطاول عليه ويتجرأ في انتقاده والتطاول عليه أمام زملائه، فيُكثر من المعارضة والتحريض على مخالفة القرارات الإدارية التي تُوضع لتنظيم العمل بالقسم.

وأنا أستمع له، شعرت أنه شكا لي ليسمع مني مواساة تخفف عليه من استعظامه همّه، فما كان مني سوى تذكيره بقول الإمام علي عليه السلام في صفات المؤمن بأنه: « نفسه مِنه في عناء، والناس مِنه في راحة ».

وهنا أكدت له بأن موقفه يُذكرني بهذه المقولة، فالمؤمن يحرص على محاصرة معاناته من الآخرين في نفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، والناس منه في راحة،

فهم مطمئنون إلى دماثة خلقه التي يُراهنون عليها، ويشعرون مع ذلك بالأمن من بطشه رغم قدرته عليهم.

استعذب المقولة، وطلب مني توثيقها له في ورقة ليضعها بحجم أكبر كشِعار يُلصقه في أحد زوايا مكتبه، فهي مقولة يستقوي بها في مقابلة المواقف المختلفة مع زملائه.

والشيء بالشيء يُذكر، أستحضر هذا الشاهد، وهو أن زميلة في أحد المنتديات الحوارية الإلكترونية التي كنت أشارك بها، كانت تعاني من سوء فهم يُلازمها مع إدارة ذلك المنتدى، فكانت لا تكظم غيظها، وتفتعل مع المشرفين المعارك، فلا تكتم انفعالاتها، بل لا ترتاح إلا حين تفضح ما تزعم أنه سوء إدارة منهم للأمور وعدم إنصاف وغير ذلك من تقصيرات بحسب تشخيصها.

راسلتني تطلب مني رأيي كمتابع لتظلماتها، وفهمتُ من ذلك أنها تطلب مني بطريقة غير مباشرة الانتصار لها في مقابل إدارة ذلك المنتدى، فما كان مني إلا أن ذكّرتها بهذا العنوان من صفات المؤمن، ونصحتها أن تراجع تقييم الأمور وحماسها لمواقفها، فلا حاجة لأن يكون المؤمن منفعلاً، ولا يرتاح إلا بفضح خصومه؛ بل عليه أن يكتم بعض العناء في نفسه، ولا حاجة لأن يتضجر من كل شيء حوله، ويعمد لإيذاء الآخرين نتيجة لذلك.

وأضفت لها:

إذا أفصحتِ عن انفعالاتكِ وكشفتِ سخف وتفاهة قرارات غيركِ لتشعري بالرضا داخل نفسك بما تشعرين أنهم يستحقونه من ألفاظ عنيفة وبأسلوبكِ

الساخر أحياناً، ونتج عن ذلك تضرر الآخرين مِن سلوكِكِ وتعنيفكِ وسخريتكِ، فأين إيثارك كمؤمنة وتحملكِ لبعض الأذى لتجنيب الآخرين الضرر، وأغلب ذلك الأذى مِمّا يمكن تحمله والتعاطي معه بإيجابية، ولا حاجة للصدام وافتعال حروب ومعارك وهمية بسبب المشاركة في المنتديات، ولا مبرر للتحسس المفرط من كل إجراء وتحميله ما لا يحتمل، ولكِ في الكثير من زملائك أسوة حسنة، فأغلبهم منشغلون عن ذلك بالمشاركات الحوارية التي فتحت المنتديات لأجل تفعيلها بينهم.

ولذا أدعوكِ لمراجعةِ تقييمكِ للأمور، وغيِّري استراتيجية حركتكِ في مقابلة تصرفات الآخرين ليكون الناس منكِ في راحة، وتفوزين بمحبتهم نتيجة لذلك، والأمر مقدور عليه من جانبكِ إن شاء الله تعالى.

وكذا أتذكر موقف الإمام علي عليه السلام في حرب صفين، وذلك حين برز له عمرو بن العاص.

عمرو حين برز لمقاتلة الإمام وجهاً لوجه، استعظم الموقف الذي أقحم نفسه فيه، وعرِف مصيره الذي ينتظره إن اقترب أكثر، ولم يكن له من حيلة يستنقذ بها نفسه من الموت إلا كشف عورته أمام خصمه.

وقد فعلها إفصاحاً عن إدباره عن مبارزة الإمام، فهو يعلم يقيناً أن علياً لديه من الورع ما يمنعه من الإجهاز على خصمٍ مُدبرٍ، فأخلاقياته الرفيعة التي يلتزم بها تقيّده عن فعل ذلك، فضلاً عن النظر لعورته، وهو ما جعله يدفع عن نفسه الموت بالرهان على ورع الإمام، وكان الإمام عند حسن ظنه به، فتركه ينجو بجلده رغم أنه خصمه الذي طالما آذاه وحرّض على مقاتلته.

| كُن واقعياً |

37

عامل نفسك بواقعية أكثر، فلا أنت ضحية بالمطلق، ولا أنت مخطئ وسيئ بالمطلق.

لا تبحث عن المثالية في عالم ليس فيه مثالية أصلا، عامل نفسك بواقعية وتجرّد، واخرج من ذاتك وانظر لنفسك من خارجها كمراقب محايد وليس كمن (يجلد) أو (يمجّد) ذاته فقط.

| الماضي |

38

لا تستمع لمن يقول لك: انسَ الماضي.

هذا خطأ كبير وغير ممكن، لأنك ببساطة إنسان عادي، لك قلب وضمير وأخلاق ومُثل وأخطاء وتجارب وسيئات وحسنات، شأنك شأن البشر الآخرين.

ولك ذاكرة أيضاً، وومضات ذهنية قد تخترق واقعك الحالي بين الحين والآخر لتزعجك وتجعلك تشعر بالدونية واليأس.

الفكرة تكمن في كيفية الاستفادة من الماضي في بناء تجربة المستقبل بخسائر أقل ومكاسب أكبر.

| المُستفز |

39

لأننا بشر عاديون، فإن طريقة تعاطينا مع الآخر يصعب علينا تحديدها لوحدنا، فالطرف الآخر أحياناً يفرض علينا أسلوباً مغايراً لما تعودنا عليه، أو ما يجب علينا التعاطي به.

هذه نقطة مهمة جداً، وأحسب أن إحدى المسببات الرئيسة للمشاكل التي نمر بها هو انجرار الإنسان إلى الأسلوب الذي يكون قد نجح في استدراجه إليه الآخر.

للأسف الواحد منا يفقد سمته أحياناً إذا ما جلس إلى محاور يتعمد الاستفزاز والاستدراج ويخلو من النزاهة في الحوار.

كلامي أحسبه إضاءة يجب التوقف عندها قبل الحكم بتقصير هذا الطرف أو ذلك في تمثيل الرأي الذي يُدافع عنه أو يدعو له، وأننا يجب أن نعرف حيثيات أي حوار ومدى توفر مقومات نجاحه من عدمه عند الآخر أيضاً.

وللتعامل مع الشخصيات الحوارية المستفزة، أضع نقطتين:

الأولى: الرهان على الوقت، فمن يتابع حركة أي طرف يتخذ الاستفزاز سلوكاً، فإنه سيلاحظ أنه قصير النفس، ولا يتمتع بالأناة والصبر وطول البال، بل

يشعر أن الوقت ليس لصالحه، وعليه إذ ذاك ضمان إيقاع الضرر البليغ بالآخر قبل أن يستفيق ليستدرك أمره ويلاحق وضعه.

لذا يجدر بنا إذا ما واجهنا أحدهم أو جماعة منهم، أن لا ننساق لتوقيتهم حتى لا نقع ضحية سهلة لهم، وذلك أن الطرف المستفز لا يملك أن يعيش خارج الدائرة التي يختطها بنفسه، فهو ليس طرفاً جاداً يبحث عن التلاقي والتواصل مع الآخر، بل هو طرف ينزع لإحداث الإيذاء ويكتفي به هدفاً يأنس به فقط.

الطرف الذي يتعمد الاستفزاز سلوكاً لا يملك أن يُطيل مع الآخر، بل يتعمد فتح دوائر صغيرة بين فترة وأخرى يُريد لها أن تبدأ بتوقيته ويختمها بتوقيته أيضاً، وهكذا دواليك، وهذه صفة عامة ملموسة مع هكذا شخصيات، فكل فترة يقفز لك بمعركة مفتعلة جديدة.

ولذا علينا وضع توقيتنا الخاص الذي نراه مناسباً، وليس من الحكمة أن نسير في توقيت الآخر، ولنراهن على الوقت الذي نعرف يقيناً أنه لصالحنا ما دمنا متواجدين ونملك نفساً أطول من خصمنا، والذي سيُخلي الساحة قريباً بعد أن يتسلى بحمقه.

ثبت بالمخالطة للناس أن أصبرهم وأطولهم أناة، هو من يُحقق مطلبه النهائي الحاسم، وأن من يرهن انفعالاته لتوقيتات الخصوم ينزلق لشرَكِهم الذي نصبوه له.

خذ وقتك، واعلم أن الأمور بخواتيمها، وخواتيم الأمور يمكن لنا أن نوسع دائرتها، ونؤجل حسمها بحسب توقيتنا الخاص الذي نتوقع أن فيه ما يُعطينا حقنا أو بعضه بحسب ملابسات كل حالة.

الأخرى: المنطوق والمفهوم، وهذه جزئية مهمة مِن المفيد استخدامها أحياناً في التعاطي مع الطرف المستفز، فإذا ما اضطررنا للرد عليه، فإن علينا اختيار الألفاظ التي تحفظ لنا سمتنا وما يعرفه الناس عنا من لغة رفيعة من جهة، وتكشف للآخرين قبح الخصم بعبارات يفهمون دلالاتها من جهة أخرى.

وهذا الفرق بين المنطوق والمفهوم، وهو أن يرد أحدنا على طرف بتعبير منطوق أو مكتوب، والمستمعون للتعبير أو القارئون له، يتحرّكون معه بوعيهم، وليأخذهم ذلك لفهم رسالةٍ إما مُغايرة لما هو منطوق ومكتوب أو تلك العبارات تتضخم في مداركهم لتشمل إشارات لم ترد لفظاً، بل يُراهن الناطق على وجودها في وعي المستمع أو القارئ بمجرد اطلاعه على هذا اللفظ الذي اختاره.

تفعيل هكذا حل يحتاج تمرساً وخبرة، ونلمس بعض تطبيقات ذلك في المقابلات التلفزيونية للشخصيات السياسية الذكية، والسيد حسن نصر الله كمثال، يُراهن على فهم ألفاظه التي يختارها بعناية لوصف الوضع السياسي والقائمين عليه في بلده، والذي يحوي فحشاً متقدماً في الخصومة عند المخالفين له، ويُراعي السيد في تصريحاته عدم السقوط إلى لغة سوقية تماثل لغة خصومه واستفزازاتهم، والناس تفهم إشاراته ودلالات ألفاظه، وأنها أقوى بكثير مما تظهر على لسانه.

المنطوق محدد عادة، ولكن المفهوم من ذلك المنطوق متروك لاتساع مدارك كل متابع للحادثة محل الطرح. وأهمية هكذا أسلوب إذا اضطررنا له يكمن في أمرين:

- الأول: حفاظنا على لغتنا التي نرتضيها لأنفسنا، وحرمان الطرف المستفز من جرنا لأسلوبه.

- الآخر: قدرتنا على كشف قبح الآخر بصياغة رفيعة، وهو ما يصعب علينا فعله لو جلسنا للتفصيل السطحي الذي لا يليق بأحدنا.

| المقالب |

40

المقلب عادة حيلة ومكيدة لطيفة تحصل بين الأصدقاء، والقصد منها الممازحة والملاطفة، وعادة لا يخفى الهدف المقبول من المقلب عند الطرفين بعد حصوله، ولذا تبقى المودة على حالها الذي كانت عليه قبل المقلب وربما تزداد.

ولكننا صرنا نشهد مقالب مفتعلة، أبطالها يستمتعون بالتسلية على حساب الآخرين، ولذا يحق لنا أن نتساءل:

ما هي ضوابط المقلب؟

ومتى يحق للضحية أن تطلب منا الانتصار لها ممن آذاها من أصحاب المقالب؟

إذا وصل المقلب لمرحلة شعور الضحية بالهوان عند الناس، فذلك مؤشر خطير على خروج المقلب عن هدفه.

إذا كان المقلب ليتم يحتاج تجاوز الحدود الشرعية، كالقسم باللهِ كذباً لتمرير المقلب، ولا أعرف كيف سيبررون ذلك أمام الناس إذا انكشف كذبهم، فضلاً عن الله ﷻ يوم يلقونه، وخاصة أنهم فعلوا ذلك في معرض تسلية، ولم يكونوا مضطرين لظرف يستحق التقية من ضرر حقيقي محتمل، وإنما عاشوا لذة مقلبٍ افتعلوه،

وقرروا التركيز أكثر في متعتهم به، وكان يمكنهم التراجع لو أرادوا مبكراً قبل التمادي فيه، ولكنهم رخصوا بالله وخلقه؛ فكان اسم الله وسيلتهم لذلك.

إذا كان المقلب ليتم يتطلب التنكر للالتزامات الثابتة شرعاً وعرفاً وفطرة، كالتزام المرأة المتزوجة تجاه زوجها وحقوق حفظه، فتتواصل مع الرجال الأجانب استغفالاً له واستهتاراً بقيمةِ التزامها تجاهه وتجاه عائلته وتعريضاً لها للمخاطر المعروفة لكل ذي بصر وبصيرة، وتستدرج نفسها وغيرها من الرجال والنساء لحماقات سخيفة وفظيعة بحجة عمل المقالب والاستئناس بها في هذا العنوان أو ذلك، كمقالب الهواتف النقالة وبرامج التواصل الاجتماعي أو مماحكات المنتديات أو مواقع المحادثات وغيرها.

سحقاً لأولئك الذين يبررون أخطاءهم بحق الله وخلقه بأنها كانت في سياق تسليتهم، والعاقل من اتعظ بغيره، وكل عاقل يرى ويسمع أن حوادث الزمن كلها تثبت أنه لا يمكن أن يخفى أمر مهما احتيط في إخفائه، وما يخجل منه العاقل حري به أن لا يفعله، وإن أقدم عليه وفعله فقد حق عليه الاستعداد لتبعاته، والتي منها أن يكون تحت رحمة قرار غيره، قد يُعطيه بعضهم صفحه ويُعتقه إحساناً أو يبغضه آخر ويفضحه عدلاً أو انتقاماً وأهواءً.

ولأولئك أُذكِّر بهذه الآيات: ﴿ **وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ** ﴾، ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾، ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾.

| الأخطاء الأسرية الكبرى |

41

يمكن بناء الثقة بسرعة بين الناس، ولكن إذا هدمت الثقة يصعب غالباً إعادة ترميمها، لأنه يستحيل إزالة الرواسب النفسية التي أحدثتها عند أحدهم. وفي المقابل، فإن طول العشرة تمنح الطرفين فرصة كبيرة لأن يخلقا مساحات تواصل إيجابية متعددة بينهما من خلالها، وذلك كفيل مع الزمن لتأصيل المودة في تراكم المواقف، لتكون هي الأصل في علاقتهما، فالكثير منا مضطّرٌ للتواصل مع ذويه في المناسبات المقبلة كالأعياد والزواجات والوفيات والأمراض وغيرها.

وكلها فرص متجددة للاجتماع معهم على مشتركات ومكاسب ذات قيمة، وبالتالي لن تسمح الأيام لأحدنا أن يختصر أقاربه في مساوئهم فقط، بل هناك المزيد من الفرص التي تخلقها الأيام، وتأتي بنا إلى التواصل معهم والفوز بمحاسنهم، والتي لا يخلون منها، وبالتالي تقديرها لهم.

مهم جداً إذا أخطأ أحدنا أن يُقِّر بخطئه، والإقرار بالخطأ فضيلة ما بعدها فضيلة، وهي مؤشر جاد وصارخ على مستوى الندم على ارتكاب ذلك الخطأ والحرص على تخطيه وتعويض المتضررين منه بالممكن والمتاح، وهذه الخطوة مهمة جداً، ولا مناص منها لعلاج أي خطأ، وأية محاولة للمكابرة أو التبرير للخطأ يعني نسف كل الجهود لتجاوز ذلك الخطأ.

أيضاً مهم جداً أن لا نغلق كل آفاق الإصلاح، إذ من الضرورة بمكان أن نبقي باباً مشرعاً أمام المخطئ للعودة إن رغب في ذلك بصدق، وإلا فإنه لو حاول بعضنا استغلال ذلك الخطأ لتبرير عدوانية غير مدروسة النتائج على ذلك المخطئ، فإنه مدعاة لجره إما للانتحار، وهو أقبح ما يُعصى الله به وأسوأ ما تواجه به التحديات، أو الاستمرار في خطأه والإصرار عليه إلى درجة المفاخرة به، كأن يتحوّل المذنب مِن مُحرَج يطلب الستر سابقاً، إلى متجاهر بفعله بعد أن تعمّد بعضهم افتضاحه والمبالغة في إيذائه، وبالتالي استشعاره عدم الجدوى من الحرص على الستر وتوابعه.

مهم جداً امتصاص الحدث الجلل، وخاصة في ردود الفعل الأولى، وذلك لضمان معالجته بأقل الخسائر الممكنة، وربما لو أحسنا التصرف وتعاطينا بمسؤولية مع الحدث، فلربما تكشف لنا الأيام أن ذلك الزلزال كان مهماً لإحداث قوة راجعة ناجحة، وأن أي حدث دونه لم يكن ليكون كافياً لحصول ذلك.

ليس صحيحاً أن الخطأ نهاية التاريخ، بل الصحيح أن له ما بعده، وقد يكون ما بعده أفضل مِمّا قبله، وخاصة بالمقاييس التربوية الإنسانية، فالإنسان مخلوق يتأثر بمشاهداته وخبراته التراكمية، فضلاً عن التعاليم الشرعية التي تؤكد على أن الدنيا بما فيها من مواقف ليست إلا مزرعة للآخرة، وهي حق، والفوز فيها مرهون بخواتيم الأمور وليس أولها.

مخطئ مَن تستوقفه أخطاء الآخرين فيراوح عندها في تعاطيه معهم، وكما لو أنه يريد أن يغلق أبواب الخلق عنهم في دنياهم، وأبواب الخالق عنهم في آخرتهم؛

ومن الأهمية أن يعلم المذنب أن الآخرين يكافئونه على كل خطوة إيجابية يُبادر بها، وأنهم يتأملون منه عدم الإصرار على الأخطاء بافتعال التبريرات لها للتخفيف من أضرارها على غيره وتزكية نفسه، وبالتالي المكابرة عليها.

وكذا عليه أن يكون جاهزاً لتصحيح أمره في القادم من الأيام، فيطمئن المحيطين به بأنه حريص على الاستفادة من تلك المراجعة، وخاصة أن الكثيرين ليس لهم مصلحة مباشرة في إيذائه عادة، وبالتالي قد يتحمسون لمنحه فرصة أخرى علّه يستثمر ذلك إيجابياً، والكثيرون استفادوا من هذه الفرصة، وكانت النتيجة لصالح الاثنين (المذنب ومحيطه).

| الأخطاء لا تأتي فرادى |

42

مشكلة بعض المخطئين أنهم فقدوا زمام السيطرة، فلم يعد هناك خط رجعة أو مقدرة ذاتية على التراجع، لأن الأخطاء لا تأتي فرادى! بل تكون جزء من سلسلة متصلة بأخطاء وأخطاء وبعضها أكبر وأفظع.

كم مخطئ راجع نفسه، وأراد أن يهرب من أخطائه، ولكن هناك بيئة تقتات على أخطائه ولا تسمح له أن يرجع أو يتراجع.

ولهذا يحتاج المسرف بحق نفسه أن يكون أنانياً شجاعاً في مراجعته لأخطائه، والشجاعة نادرة بين البشر.

الاستثمارات الخاطئة في أغلب الأحيان تجر الإنسان للتواصل مع بيئة تنشأ بينه وبينها مصالح ومشتركات وعواطف وارتباطات متشعبة، ولا يستطيع مع ذلك حسم قراره الصحيح متجاهلاً حضور المشتركين معه والمتأثرين بقراره.

كم نعجب حين نجد أحدهم يتحسر على مصيره السيء، رغم أنه لم يصل له سوء بعد، وحين تبادره بالسؤال:

ما دمت في مساحة المهلة، فلماذا لا تعاجل نفسك بإنقاذها؟

فيكون جوابه: لم أعد قادراً على إدارة الأمر، وكأن هناك من يسوقني سوقاً إلى الحتف والفناء.

محظوظ مَن وُفّق لبيئة تساعده على المراجعة الذاتية الإيجابية وتنقية النفس والقفز للاستثمارات الصحيحة بدون منغصات.

جميل حثنا للجميع أن يتعاهدوا أنفسهم بالمراجعة، والأجمل أن نغرس فيهم ثقافة الثقة بالنفس والأنانية المتقدمة في معالجة الأخطاء وتشعباتها، فالحسم مطلوب، ومَن يملكه في إدارة مواقفه، فقد استنقذ نفسه من الهلكة وخسارة الدين والدنيا.

| التحامل |

43

تمر بي مواقف في الحياة، أجد أن بعضهم فيها يتحمس لموقف سلبي منفعل من طرف معين، وحين أبحث في دوافع ذلك الموقف، أجدني أمام دوافع غير ناهضة، فالمواقف التي تصدر من ذلك الشخص، لا تستحق أن تكون ردة الفعل عليها عنيفة وحادة إلى درجة شطب قيمة الشخص والتنكر لمزاياه الأخرى إن وجدت.

أحد الأخوة من محيطي، كان يتذمر من قريب مشترك لنا بشكل متكرر ولافت، وينسب له عبارات الحمق والسفه، ودائما يقارنه بأحد إخوته، ويفضّله عليه.

وقد اضطررت يوماً لمصارحته، وطلبت منه أن لا يتحامل على الرجل، وأنه مُطالب أمامي بأن يستعرض لي سلوكيات هذا الشخص، لنقوم بتقييمها بشفافية، ولنتوصل إلى حكم مشترك ما إذا كان يستحق تعبيراته القادحة بحقه أم لا.

لاحظت أنه صُدم من طلبي، وتابعت كلامي له، بأن المطلوب منه مراجعة موقفه، فسلوك ذلك الرجل وإن حصلت منه أخطاء هنا أو هناك، فهي أخطاء عادية وتحصل من أقرانه، وليس بينها أخطاء كبرى، ومقارنته بأخيه غير منصفة.

مرّت الأيام، لأجد هذا القادح يقول لي: حين راجعت موقفي من الرجل، وجدت أني كنت متحاملاً عليه، ولا حاجة لأن أدقّق في سلوكه أو غيره، فالرجل لم يضرّني، وحتى حماقته بحسب تشخيصي التي يضر بها نفسه أحياناً في بعض تدبيراته لأموره الخاصة، لا تعنيني؛ وأيضاً لا تحوي أخطاء فادحة من النوع الذي يحتاج تصدياً وتعريضاً به في كل محفل.

والمزايا التي ذكرتها لي في شخصه، تستحق أن نلتفت لها ولا نغفل عنها في تقييّمنا له، والمطلوب منا تعزيزها فيه، والتعامل معه بناء عليها، فالبحث عن المشتركات الإيجابية مدعاة لتحقيق التواصل بين الناس بما يحقق أهدافهم المشتركة.

| التغافل عن الزلات |

44

التغافل عن الزلات مِن أرقى شيم الكرام.

كم مؤمنة تغافلت عن زلات زوجها، وحفظته في نفسها ومع الناس، وراهنت على الخير فيه، وكسبت الرهان ولو بعد حين.

وكانت المواقف الصعبة محطات اختبار اجتازتها بنجاح، فكانت الحكيمة التي لا تضر استقرار بيتها، وكانت صاحبة المروءة التي تقيل عثرات زوجها، وكانت المؤمنة التي تحفظ دينها، وكانت العزيزة التي لا تشكو همها وتفضح أسرارها للغرباء.

| الرقابة الإيجابية |

45

الرقابة الإيجابية مطلوبة للأبناء. ومن خصائصها أنها ليست رقابة تصيّد، بل رقابة حماية وترشيد.

وهناك معضلة نواجهها في أولياء الأمور، وهي اللامبالاة والاتكالية؛ وسببها ليس فقط كون الوالدين مشغولين، بل هو شكل من أشكال التهرّب من مواجهة تبعات الاستحقاق لما بعد الرقابة.

الرقابة الإيجابية لن تؤتي نتائجها ما لم تكن هناك قدرة على التعديل، فلا يكفي اكتشاف الخلل، إن لم يتبعه تحرّك لتصحيحه.

ولأن ولي الأمر (أب – أم) قد يكون فاقداً لثقته في نفسه، فإنه يلجأ للهرب من تحمل المسؤولية بترك الحبل على الغارب والاكتفاء بتسجيل ملاحظات عامة دون المبادرة لاتخاذ موقف حقيقي.

التربية تحتاج شِدّةً جنباً إلى جنب مع العاطفة الفطرية التي تأخذنا لمودة أبنائنا، والشِدّة مطلوبة ولا غنى عنها، فكم كبحت جماح منفلت إذا ما صبر عليها المربي، ولم يستعجل النتائج وتغلبه عاطفته، وذلك أن الكثيرين منا تغلبهم عاطفتهم مع أبنائهم، فلا يكادون يقررون عقوبة حتى يسارعون للصفح والنسيان والتودد لهم إحساناً.

| الدلع النسائي |

46

عزيزي الزوج:

مخطئ إذا كنت تعتقد أن مصداق (الدلع النسائي) يكمن في تقاعس الزوجة عن الطبخ والتنظيف والعناية بالأبناء.

الدلع النسائي أنواع، وإذا أردت معرفة الأنواع الخاصة بزوجتك منها، فما عليك سوى أن تتذكر المواقف التافهة التي اضطررت فيها لمسايرة قرارها على غير قناعة منك.

ستقف حينها على مستوى (الدلع) الذي تتمتع به زوجتك، وستعرف أنها لا تقل دلعاً عن غيرها، ولكنها أتقنت جانباً منه، وغيرها من النساء أتقنّ جوانب أخرى.

| سبب أخطائي |

47

أخطائي كثيرة، وقد فعلت معظمها مضطراً، وسبب ذلك أني تساهلت في معالجة المقدمات، واستدرجني ذلك لارتكاب أخطاء لاحقة لم أتوقعها من غيري، فضلاً عن أن تكون مني.

مؤلم ذلك الشعور بالحسرة الذي يُحاصر الإنسان حين يجد نفسه مُحاسباً عن أخطاء ارتكبها مضطراً، وغفل عن أنه أسس بإرادته لذلك حين تساهل في مقدماتها.

هي دعوة لأن ندقق في مقدمات الأمور قبل أن نقع ضحية لتبعاتها، ونجد أنفسنا غارقين في وحل أخطاء لا منجى لنا من استحقاقاتها الدنيوية والأخروية، ولا خيار أمامنا إلا مهادنتها والاستمرار فيها، وبالتالي العيش مرتهنين لانعكاساتها السلبية على واقعنا الشخصي والاجتماعي، قال تعالى: ﴿ **بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ** ﴾.

| لم يصفح عني |

48

وصلتني هذه الرسالة من أحدهم في بريدي الإلكتروني:

أخي العزيز..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أريد طرح هذه المشكلة عليك، وأرغب باستشارتك في مصيرها.

لو أخطأ إنسان في حق أخيه المؤمن، خطأً كبيراً، وكان يفعل ذلك الخطأ مع اشتباهه بأنه إصلاح، ولكنه كان يمارسه بأنانية، ولا يفكر إلا في نفسه فقط. وبعد مدة، اكتشف أخوه المؤمن بأن ذلك خطأ بحقه، وقرر أن لا يُسامحه أبداً.

الآن.. المخطئ نادم أشد الندم على خطئه، وقد تقدم بالاعتذار للطرف الآخر، ولكنه رفضه حتى بعد تكرره منه، وما زال يُعرض بوجهه عنه، وصرّح بعبارات سلبية في خصوص ذلك، ومنها أنه حاقد جداً على المخطئ وقلبه لا ينسى.

مضى على الحادثة أكثر من عام، والتواصل منقطع بينهما، ولا يعلم المخطئ هل سامحه الآخر أم لا؟

سؤالي هنا:

في مثل هذه الحادثة، هل تعتقد سيدي أن الله قد تاب على الشخص حتى لو لم يسامحه أخوه المؤمن؟

فما أعرفه أن الله تعالى يغفر الذنوب التي بينه وبين العباد، لكنه لا يتصرف في الذنوب التي بين عباده فيما بينهم حتى يسامح كل عبدٍ صاحبه، ويكون في حل من حقه عليه.

هل سيبقى عقاب الله معلقاً بالمخطئ التائب إلى الله، لأن صاحبه لم يسامحه، ولن يسامحه؟!

وقد أجبته بما يلي:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

إذا قام العبد المخطئ بمحاولة تصحيح خطئه بما يُقره العقلاء بحسب طبيعة الحالة، فهذا هو المطلوب منه، فعلى سبيل المثال، في حالة معينة يكفي عند العقلاء أن يعتذر المخطئ علناً أمام جمعٍ معقول من أصحاب الشأن بغلطه بحق فلان، وأنه نادم على ذلك ويطلب الصفح عنه، ويؤدي ما عليه من التزامات لاحقة لذلك الإقرار بما يقرّه أهل الحل والعقد من الحضور، والأكيد أنهم لن يلزموا المعتذر بمطالب تعجيزية، بل سيأخذون بيده لتعزيز موقفه بما يرونه قادراً عليه وكافياً منه.

وإذا تحقق ذلك، فذلك مقدّر له عند ربه-إن شاء الله-. ولتعلَم بأنه غير مطلوب من المخطئ أن يهين نفسه بدون أن يضع سقفاً لذلك، وسقف ذلك كما

وضحت لك هو عرف العقلاء؛ ومستقبح أن يُعرض الشخص عمن يأتيه معتذراً له، ومستقبح أكثر منه، لو طالبَ المعتذر بأن يقوم بسلوكيات تعجيزية مُهينة له انتصاراً لذاته واتباعاً لهواه فقط.

وبحسب ما فهمت من كلامك، أن المخطئ اعتذر مرة ومرتين، وهو المطلوب منه في عرف العقلاء، ولكن الطرف الآخر رفض الاستجابة لذلك، ولأني أفترض مخاطبتي للطرف المخطئ (المعتذر) في هذه الرسالة، فأقول له:

يا أخي..

بعد أن قمت بخطوة الاعتذار التي يُقرّها العقلاء في مثل حالتك مع صاحبك، فلا حرج عليك، ولا تقلق من رفض صاحبك اعتذارك له، فالمهم هو تحقق حصول التوبة الصادقة، فالله سبحانه وتعالى مطلع على ذلك.

وإذا تحققت التوبة الصادقة التي اطلع عليها ربك سبحانه، فإن الله يوفق لعبده التائب أسباب مسامحته من أخيه المؤمن عاجلاً في الدنيا أو آجلاً في الآخرة.

فقد رُوي أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، قال: « إذا أُوقِفَ العباد، ناد منادٍ: ليقم مَن أجره على الله، وليدخل الجنة، قيل: مَن ذا الذي أجره على الله ؟ قال: العافون عن الناس ».

فهنيئاً لمن سيفوز بأجر الله تعالى الذي وعد به في محكم كتابه العزيز: ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾.

وعن أنس قال: « بينا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ جالسٌ، إذ ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما الذي أضحكك يا رسول الله؟

قال: رجلان من أمّتي جثيا بين يدي ربّ العزّة، فقال أحدهما: يا ربّ خذ مظلمتي من هذا، فقال الله تعالى: رد على أخيك مظلمته.

فقال: يا ربّ لم يبقِ من حسناتي شيء، فقال الله للطالب: كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء؟

فقال: يا ربّ فليحمل عنّي من أوزاري.

ثم فاضت عينا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بالبكاء.

فقال: إنّ ذلك اليوم عظيم، يوم يحتاج الناس إلى أن يُحمل من أوزارهم، قال: فيقول الله تعالى للمظلوم: ارفع بصرك، فانظر في الجنان، فقال: يا ربّ، أرى مدائن من فضّة وقصوراً من ذهب مكلّلة باللؤلؤ، لأيّ نبيّ هذا ولأيّ صدّيق أو لأيّ شهيد؟

قال الله تعالى: لمن أعطى الثمن، قال: يا ربّ، ومن كان يملك ذلك؟ قال: أنت تملك، قال: بماذا يا ربّ ؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا ربّ، فقد عفوت عنه

قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخل الجنّة، ثم قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: **فاتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإنّ الله يُصلح بين المؤمنين يوم القيامة** ».

ولذا اطمئن، وأوكل أمرك لله، فهو نِعمَ المولى ونِعمَ الوكيل. وتأكّد بأن ربك مَن يُقلِّب القلوب بما يشاء، وأنت وصاحبك تحت إرادة الله سبحانه، وهو سيؤمِّن لك صفح أخيك عنك بعد توبتك الصادقة، وخاصة أنك لم تكابر وتعاند، وبذلت وسعك في إصلاح الخطأ.

وربما تسأل: لماذا لم يُعجِّل الله بتوفيق صاحبي للعفو عني الآن؟

ربما الله يختبر صبرك، وكل ما حصل لديك من أذى نتيجة ذلك هو تكفير لسيئاتك إن وجدت، وإذا لم يكن لديك سيئات، فهو لرفع مقامك في الجنة، فكل ما يصيب المؤمن من هَمٍ وغمٍ إنما هو كفارة لذنوبه أو لتعويضه مقاماً أرفع في الجنان.

| ما ذنب هذه الطفلة وأمثالها؟ |

49

بينما كنت أتمشى بأحد شوارع قريتنا، فوجئت بأصوات تنبعث من الدور العلوي بأحد المنازل، كانت الأصوات مرتفعة جداً، لأول وهلة شعرت بالرعب، فربما مات لديهم قريب، وهم في لحظات الصدمة الأولى، ومع ذهولي عرفت من طبيعة الأصوات أن هناك تلاسناً عنيفاً بين زوجين يتم بصراخ ملفت!

دخلت في طور آخر مع استشعاري لهذه الحقيقة، صرت ارتجف من هول ما لمسته من قوة في الأصوات التي لم أكن أميّز محتواها، والشيء الوحيد الذي يصلني هو دوي حناجر تتصادم بقوة.

وبينما أنا بتلك الحالة حتى رأيت طفلة في السابعة أو الثامنة من العمر بحسب تقديري، تخرج عند باب الشارع باكية مزعوجة مخطوفة اللون، فهمت من بكائها أنها تطلب تدخل أحد لإيقاف ما يحصل داخل بيتهم.

كنت الوحيد بالشارع حينها، وكنت واقفاً على مسافة من البيت لحيرتي فيما أصنع، وفي تلك الأثناء مرّ قريب لأهل ذلك البيت بسيارته في الشارع، وفكرت أن أبادر في إيقافه، لأطلب منه الترجل والتصرف مع الموقف، ولكني لم أجرؤ، كنت متردداً في ذلك، وأعزو ذلك لحالة الارتباك التي كانت مسيطرة علي، والحمد لله

كانت الطفلة المذعورة هي المبادرة لاعتراض قريبها في وسط الشارع، وكأنها كانت تنتظر رؤية أي شخص مألوف لها لتصرخ به طالبة نجدتها.

وبالفعل نزل ذلك القريب، واستمر الصراخ بعض الوقت، وانتهى حين رأيت ذلك القريب وقد خرج من البيت مصطحباً الزوجة مع طفلتها وأخذهما معه بسيارته، وفهمت من ذلك التطور أن القريب ربما اختار إبعاد الزوجين عن بعضهما من رحم ذلك الموقف كمقدمة لحلحلته لاحقاً.

بقيت منزعجاً فيما تبقى من ذلك اليوم، ومنظر الطفلة الضحية المزعوجة التي تصرخ بصوت مبحوح عند باب بيتهم بقي مسيطراً علي، وصرت أتساءل:

كيف ستذهب تلك الطفلة للمدرسة غداً ؟

ما الأثر النفسي الذي استوطنها من رعب الموقف ؟

كم تحتاج لتتعافى من هول ما عاشته ؟

وكم طفل عاش ذات الموقف ؟

وما الموقف الذي اضطر معه الزوجان للتفاهم بهذه الطريقة في حضور طفلتهما الصغيرة ؟!

هذا الموقف جعلني أستشعر بعض نِعم الخالق سبحانه علي، ونعمه لا تحصى، فالحمد لله سبحانه الذي خلق لنا من أنفسنا أزواجاً، وجعل بيننا مودة ورحمة.

وأسأله سبحانه أن يهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، وأن يوفقنا لتأمين أسرة آمنة مطمئنة لأبنائنا وبناتنا، ويرزقنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة[٨].

(8) نحن بحاجة ماسة للتثقيف الأسري قبل الزواج وبعده. وهنا مسؤولية الجهات الرسمية والشعبية العامة أن تعمل على ذلك بالوسائل المتاحة للتواصل مع الجمهور وصولاً لأسر أكثر استقراراً وأماناً تسودها المودة والرحمة..

| الشك |

50

كتبت إحداهن هذه المشاركة بأحد المنتديات الحوارية[٩]:

اتصلتُ بصديقتي يوم أمس، ولم أتمكن من النوم بعد مكالمتها.

صديقتي فتاة جميلة وطموحة ومعطاءة، وعمرها ٢٢ عاماً؛ ومشكلتها أن أخاها ذا الأربعين عاماً، يتمادى في قذفها بأشد عبارات السب والشتم، فهو يشك بها كثيراً، وشكوكه مفتعلة ولا مبرر لها، وهي بنت عائلة محافظة.

أبوها موجود، ولكنه ترك متابعة جميع شؤون عائلته لأخيها، فهو يدير حاجاتها الاقتصادية وغيرها، وله كلمة مسموعة حتى على والديه، ويحصل منه أن يمنع عن أخواته الإنترنت والهواتف النقّالة بسبب شكوكه، وحتى التلفاز أحياناً.

في مكالمتي لصديقتي، فوجئت أنها بالمستشفى، وحين سألتها عن السبب، ذهلني جوابها حين قالت بكل ثقة:

حاولت الانتحار!

فكان مني أن كذّبتها، فأقسمت لي بأنها المحاولة الثانية، وأن الثالثة ستكون الأخيرة.

(9) نقلتها بتصرّف، وكانت مكتوبة بالعاميّة.

استنكرت منها ذلك، فقالت: تعبت من شكوكه، ومراقبته لي، فهو يتجسس علي في خروجي من عملي، وألمحه خلفي في السوق وغيره من الأماكن.

لم أكن لأتصور وجود هكذا حالات في مجتمعنا، وظننته محصوراً في عالم الأفلام حيث لا إيمان بالله.

فكان مني أن زجرتها بسؤالي: هل تريدين دخول النار بهذه الكبيرة؟

فقالت: ربما النار أرحم من أخي.

ولديها أخت تكبرها، ولها ٣٣ عاماً، حرمها أخوها من فرصة الزواج بخاطب لها حين شكّ أنها على علاقة سابقة به.

وسؤالي: ما الحل مع هذا الأخ الذي يعيش بالشك مع قريباته ويدمر بذلك نفسياتهن وربما يفوّت عليهن فرصاً لتحسين أوضاعهن؟!

وكان هذا تعقيبي:

الحل في الجلوس أولاً مع الأخ المطعون فيه، حتى الآن نقلتم لنا كلام الأخت التي تزكونها، وحبذا لو تم نقل الأمر إلى شخصية ذات ثقل من معارفه لمناقشة الأمر معه بأريحية وبعيداً عن الضوضاء.

أي خلاف عائلي مطلوب فيه المعالجة الخاصة والمكاشفة في جلسة إيجابية التحضير والمضمون.

حتى اللحظة كل كلام صديقتكِ يبقى في حدود أنه ادعاء من طرف واحد، والطرف الآخر يحتاج أن نسمع مبرراته لما نسبتِ له من سلوكيات إن كانت صحيحة، وهل هناك ما خفيَ عنا، وكأننا فهمنا من توصيفكِ أن أخاها يمتهن الإيذاء لمجرد تحقيق ذاته من خلاله، وأنه يُعاني من عقدة نقص ما، ويُرهق عائلته بتفريغها فيهم.

أرجو ألّا يكون المطلوب منا تصديق كل ادعاء يمس حقوق الآخرين لمجرد أن المدعي ينسب لنفسه المظلومية.

ومن حق أخيها علينا أن نسمع لقوله قبل الحكم عليه وعليها، وعلاج المشاكل العائلية مطلوب فيه أمور، ومنها:

- إشراك شخصية ذات ثقل وحضور مقبول في نفوس الأطراف المختلفة، بحيث تكون مرجحة للقرارات المتخذة في حل تلك المشاكل إن لزم الأمر.

- الحرص على التحضير الجيّد للمكاشفات في هذه اللقاءات، والتحضير الجيّد يعني رسم ملامح إيجابية للقاء والهدف منه، وضرورة تأمين استحضارها عند الأطراف المختلفة قبل جلوسهم للقاء، وهذه مهمة الشخصية المنوط بها تحضير ذلك اللقاء.

وهذا مثال من الواقع، وذلك أن أحد الأصدقاء كان يسمع من أرملةٍ كلاماً كثيراً عن إزعاج أحد أقاربها لها وتعمده ملاحقتها والتجسس عليها وامتهان إيذائها.

مرت سنوات، وهو لا يسمع منها إلا الطعن في ذلك القريب، وهو يعرف عن قريبها أنه إنسان مؤمن وناضج، ويستغرب كيف يصح كل ما تنسبه له من تصرفات مع عائلته، وكما لو كان وحشاً كاسراً لا تعرف المروءة طريقاً إلى سلوكه أبداً.

ذات يوم، حصلت خلوة بينه وبين ذلك القريب، وهناك حمل بعض الجرأة معه ليُفاتحه بما يحصل بينه وبين قريبته من تواصل.

ونقل له بعض ما سمعه عنه منها، وكان من ذلك القريب أن صار يُحوقّل، ثم قال: يا عزيزي، أنت لا تعلم ما أعرفه من أمرها، ولو تعلم بعضه فقط لما لمتني فيها؛ وليس من مصلحة في إبراز عيوب قريبة لي.

وأضاف: لكني سأشير لواحدة منها فقط، وأظنها كافية، وتختصر شكوانا منها، ليتك تسألها عن حادثة القبض عليها من جانب رجال الحسبة، وهي في خلوة مع رجل أجنبي.

أرجو أن تعفيني من استعراض المزيد من أفعالها، فالجراح أكبر من أن تُضمد بسببها، وأخطاؤها الأخلاقية أكثر من أن تحصى، وإصرارها على ذلك رغم كل التنبيهات إنما هو دليل على وقاحتها، خذ هذه العناوين واسألها عنها، وأنا أعرف أنها لن تملك معها جواباً.

أخذ ذلك القريب يستعرض له بعض العناوين العامة دون تفصيل، وخرج صاحبنا من عنده أحير من ضب.

ولاحقاً، حرص هذا الصديق على محاورة تلك الأرملة المدعية للمظلومية، واكتشف بصريح العبارة أن ما ذكره قريبها في حقها إنما هو جزء يسير من أخطائها الشرعية والأخلاقية.

كانت فجيعة هذا الصديق بتلك المدعية كبيرة جداً، فقد اكتشف أنه قد تم استغفاله، فعلى مدى سنوات، اتخذته تلك المرأة متنفساً للتعبير عن احتقاناتها العائلية ليس إلا، وكانت تقابل حماسه لنصرتها بالمزيد من الكذب.

هذه المرأة كانت تكذب على هذا الصديق، لأنها كانت مطمئنة من أنه لا يمكن أن يدنو لمعرفة الحقيقة من أي طرف آخر غيرها، فلم تتوقع أنه سيدنو يوماً من قريبها ليعترف له بأن قريبتك فلانة تشكو منك عندي، ولذا ظنّت أنها المصدر الوحيد للأخبار الداخلية لأسرتها عنده، فالواقع الاجتماعي المحافظ مغلق، ويصعب معه معرفة أية تفاصيل من طرف خارجي في هكذا مسائل، وذلك أنه يصعب على رجل محترم أن ينسب لنفسه التواصل مع بنت الناس لهم.

ولكن هذا الرجل فعلها، وتكلم مع قريبها لثقته بأنه ليس لديه في ذلك التواصل ما يخجل منه إلا كونه متنفساً لمزاعم تلك المرأة بالمظلومية.

وخلاصة القول، بأنه من حق أي طرف غائبٍ أن نعطيه فرصة لأن يعرض لنا مبرراته لتصرفاته المنسوبة له، ومن الظلم إدانته قبل ذلك.

أرجو أن لا يُفهم من كلامي أني أدافع عن شخص بعينه، بل أجنب نفسي أن أصدر أحكاماً خاطئة بحق طرف غائب لمجرد أن خصمه ينسب له ما يُدينه.

وبعد الاستماع لطرح كل طرف، يحق لنا أن ندين عن بيّنة مَن تثبت بحقه التهم المنسوبة له، ولأننا في مشكلة عائلية داخلية جداً، فلا مجال لحلّها إلا في نطاقها الضيّق تجنباً لافتضاح العيوب للغرباء، وذلك بما أشرنا له من مقترح أعلاه.

| الإصلاح |

51

ينسب للإمام علي عليه السلام قوله: « والله إني لأعرف ماذا يصلحكم، ولكن لا أصلحكم بفساد نفسي ».

كم مرّة عملتَ على إصلاح وضع غيرك بفساد نفسك؟

كم مرّة استدرجتَ لخدمة غيرك، وكنت تعلم أنك تقوم بالسلوك الخاطئ؟

كم مرّة تصرفت تصرفاً لا تعرف متى يطالك ضرره، وتبقى مترقباً خائفاً ردحاً من الزمن، والسبب مساعدتك لطرف آخر في ظرف لا يخلو من ترف؟

لماذا نساعد الآخرين بفساد أنفسنا؟

صراع مؤلم حين يضعك بعضهم أمام خيارين، أحلاهما مُر:

إمّا أن تساعده في موقفه الخاطئ، وتخسر نفسك، وتبقى مترقباً خائفاً من تبعاته التي لا تملك التحكم بها وحدك، وإمّا أن يعتبرك أنانياً، إذ لم تقدّر طلبه وتشفعه بك.

كم مرّة جاء أحدهم يولول من تأنيب ضميره الذي يصحو نتيجة لخوفه وترقبه من تبعات مساعدته للآخرين في بعض حاجاتهم الخاطئة كالمخالفة للشرع والقانون والعرف؟

تعمّدتُ عدم ذكر شواهد، وذلك لأني على قناعة أن كل قارئ لديه شواهد في ذهنه مما عايشه أو سمعه أو قرأ عنه.

وهدفي من الموضوع هو تنشيط مراجعة كل واحد منا للشواهد التي يعرفها، ومدى استفادته مما عرفه.

أنا مقتنع أن الإنسان بالحد الأدنى مطالب بما بلغه من علم وفهم، وجميل جداً لو استفاد الإنسان من خبراته الخاصة، ومعيب جداً أن تعرض له الشواهد أمامه، فيُعايشها ثم لا يستفيد منها.

| سلوك الأبناء |

52

تربية الأبناء مسؤولية يتعاظم الشعور بقيمتها كلما كبُر الأبناء، فلكل مرحلة تحدياتها، وإذا كثُر عددهم، يكون الوالدان أمام تعدد المراحل، فهناك المراهق وهناك غيره، ومطلوب من الوالدين إعطاء كل فرد من ذويهم ما يحتاجه من اهتمام ومتابعة وتقويم.

إذا واجه ولي الأمر معلومة تخص وقوع مخالفة من أحد أبنائه، فإن معالجة تلك المخالفة تحتاج رصد عوامل عدة، ومنها:

١. **نوع المخالفة**، هل هي شرعية أم عرفية أم قانونية أم اجتماعية أم أخلاقية.
٢. **مدى اتساع أضرار المخالفة**، وهل ضررها خاص به أو لها تبعات على بعض محيطه.

ومثال ذلك، التدخين قد يُعتبر مخالفة أقل ضرراً من المخالفات السلوكية، كما لو كان الابن يتجاهر بمظاهر الفسوق ويروج لها بين إخوانه وأصدقائه.

٣. **جنس الابن المخالف**، وذلك مهم، لأن لكل جنس بيئة نفسية وضوابط سلوكية يجب مراعاتها في مراجعة الابن أو البنت.
٤. **طبيعة شخصية الوالدين**، فكلما كان الوالدان يملكان مقومات تربوية قيادية، كلما كان ذلك مساعداً لهما في مهمتهما، والعكس صحيح، فإن

افتقارهما لتلك المقومات قد تكون الثغرة التي يصعب ترقيعها لصعوبة استبدال موقعهما بغيرهما.

٥. **طبيعة شخصية الابن والبنت**، فهناك المتواضع والخجول والودود، وهناك الجسور والوقح والعدواني وغير ذلك.

اطلعنا على حالات يصعب على الوالدين التعاطي معها، كما في حالة الغرور والاغترار لدرجة الجرأة ثم الوقاحة، وهذا ملموس عند بعض المراهقين الذين قد يُبتلى الوالدان بهم، وأصعب التحديات حين يُبتلى أحدنا بابن وقح؛ فكم مؤمنة خمشت وجهها حين حاولت وضع حد لمخالفة لابنتها بشكل سري حفاظاً على سمعة بنتها وبيتها، ولكنها تُفاجأ بموقف غير منتظر، فتصطدم بوقاحة البنت المخالفة؛ وهنا تضطر الأم للاستعانة بقريب أو قريبة في محاولة لضبط ما عجزت عن التصدي له.

٦. **الأصدقاء في المدارس والشوارع**، وهذا معروف أثره لكل ذي بصر وبصيرة.

٧. **الاهتمامات الذاتية للأبناء**، لا شك أن طبيعة الاهتمامات مؤثر مهم في سلوك الفرد، ومن الأهمية ترشيد اهتمام الأبناء إن أمكن، وذلك بتوجيه اهتمامهم لما ينفعهم، أو على الأقل محاولة الاستفادة من اهتماماتهم بتسخير أدواتها في مساعدتهم لتصحيح أخطائهم.

| فتنة المرأة بجمالها |

53

جمالُ المرأة فتنةٌ لها قبل أن يكون فتنةً لغيرها، فكم امرأة ركنت لجمالها واغترّت به، وشغلتها مكاسب جمالها ومتطلباته عن البحث في فرص النجاح والكمال الأخرى بالحياة، فتعيش في حلقة مفرغة من الالتزامات التافهة المرتبطة به، وتقضي عمرها في حساباته المحدودة، وتعيش واهمة به، وتتضخم منغصات جمالها في نفسها بحيث تشعر وكما لو كانت تخوض أشرف نضالات الإنسانية من خلاله، فلا تتحمس لتطوير ذاتها بأي مجال آخر، ولا لإكمال دراستها، ولا للمشاركة بالأنشطة التطوعية، بل قد تغترّ بجمالها حتى على التزامها بزوجها وأطفالها.

ذات الأمر معنا، فكم نُفتن بمكسبٍ رزقناه، ونعيش مغترّين به ودائرين في فلكه والتزاماته ومنشغلين به عما سواه من استحقاقات أهم وأكبر، ويضيع العمر، وما زلنا نراوح مكاننا، وسبب ذلك أننا ركنا إلى مكسبٍ قد فُتِنا به، واخترنا العيش في ظِلِّه.

هي دعوة لمراجعة تقييمنا لمكاسبنا الماضية، فلا نسجن أنفسنا في زنزانة بعضها، ولنطلق سراح ذواتنا لتظفر بالمكاسب الكمالية المتجددة والتي تلوح فرصها أمامنا، فلا يحبسنا عنها سور بنيناه من أوهامنا.

| انحراف أحد الزوجين |

54

مَن المسؤول عن انحراف أحد الزوجين ؟

انحراف أحد الزوجين ليس مرتبطاً بالضرورة بسلوك الآخر.

بلى.. قد يُبرر لنا أحدهم انحرافه بتقصير شريكه، ولكنه بينه وبين نفسه يعرفُ أنه بالغ في انحرافه، واستمرأ الانحراف وتقدم فيه كثيراً، وأنه كان بالإمكان أفضل مما كان منه، ولكنه أسرف كثيراً، وبالتالي لا معنى لتبرير انحرافه بتقصير شريكه معه.

كلامي عن الطرفين [الزوج والزوجة].

| كالحمار يحمل أسفاراً |

55

حين يبلغ – بعضهم – سن الأربعين، يرى نفسه مستحقاً لهذا التوصيف بجدارة، فلا يستفيد مما يحمله من خبرة تراكمية بالحياة، وسبب ذلك أن الأخطاء التي أوقع نفسه فيها طيلة الفترة السابقة، تحولُ بينه وبين التصرف بإرادة مستقلة، فهي التي تُسيّره، فيبقى حبيساً لتبعاتها، فخياراته المتاحة باتت محدودة جداً، بل معدومة.

وبالتالي لا يستفيد من مستوى [التعقّل] الذي بلغه، ويشعر واقعياً أنه تورط به، فلا هو جاهل يعذر نفسه، ولا هو عالم مستفيد من علمه وخبرته.

| هل الناصح متناقض؟ |

56

قد ينصحك أحدهم بأمر وهو لا يفعله، وذلك ليس لأنه متناقض، بل ربما تمنى لك الخير في أمر لم يستطع فعله، أو لُدِغ منه قبلك وأراد لك الاحتياط منه ومن تبعاته، وليس مطلوباً من الناصح لغيره أن يُجاهر بأخطائه قبل كل نصيحة لهم، وإلا اعتبر أحمقاً وآثماً.

أحمق لأنه يضر نفسه دون داعٍ لذلك فيما لو أذاع خطيئة له للآخرين، وآثم لو كان في نسب الخطيئة لنفسه إعانة على انتشار الخطيئة بين الناس فيما لو صار التجاهر بها مشهوراً، ومعه قد يُصبح المنكر مألوفاً ومعروفاً.

وقد نشر أحد الزملاء هذا المحتوى:

ما أجمل أن يُطبِّق الأنسان على حياته الأمر الذي يدعو له، وتذكرني هذه العبارة بخطيبٍ طلبوا منه أن يتحدث عن أضرار التدخين، فلم يتحدث إلا بعد سنوات طويلة مِن تركه للتدخين؛ ليتنا نبتعد عن المثالية الزائفة؛ ونعيش الواقع؛ فنصلح أنفسنا قبل أن نتحدث[١٠].

(10) منشور بأحد برامج التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت.

وعلّقت بالقول: لو انتظرنا ذلك لما تحدثنا أبداً. دعونا نتحدث بما فتح الله لنا، وبما يسمح به المقام وفق اجتهادنا الذاتي، نخطئ ونصيب، وربّ ناصح غير مستفيد من نصحه، ولكن هناك مَن يستفيد منه.

بلى.. قد يُؤثر ذلك على مصداقية المتحدّث عند من يعلم بأنه متناقض مثلا، ولكن الواقع المعاصر جعل من صاحب الرسالة أمام جمهور عريض، وطارت التقنية بصوت الإنسان شرقاً وغرباً، وبالتالي ليس من المنطق أن لا يتحدث للناس عن الفضائل إلا إذا كانت فيه، فلا بأس أن يعتمد على حسن ظن بعض المتلقين له، ويدعو لما يراه فضيلة بينهم.

وحتى المسلم الفاسق يجب عليه الأمر بالمعروف والنهي على المنكر إن رصده، إذ ورد في أحكام الدين الإسلامي كما في منهاج الصالحين للسيد السيستاني في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما نصّه:

[مسألة ١٢٧٢] : لا يختص وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصنف من الناس دون صنف، بل يجب عند اجتماع الشرائط المذكورة على العلماء وغيرهم، والعدول والفسّاق، والسلطان والرعية، والأغنياء والفقراء، والظاهر عدم سقوطه ما دام كون الشخص تاركاً للمعروف وفاعلا للمنكر، وإن قام البعض بما هو وظيفته من المقدار المتيسر له منه. انتهى،

فالدين الإسلامي، ذلك القانون الإلهي الذي ينبغي للبشريّة السير عليه والتبعّية بكلّ اطمئنان وسكينة معه، يفرض وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى على الفاسق؛ وذلك لأهداف وغايات متعددة، ومنها توظيف كافة

أفراد المجتمع للمواجهة والمقارعة العلنيّة ضدّ الباطل والانحراف، أيّاً كان فاعله، وممن كانت معارضته، حتى لو كان فاقداً للتدين والإيمان في موضع من المواضع أو مختل الالتزام بالدين في قسم من الواجبات، فأمر الدفاع عن الحقوق والواجبات مهمٌ، بل أهم بالنسبة لعموم المجتمع، وحتى على مستوى الفرد نفسه.

فكما أنّ الدفاع عن بلاد وأرض وحرمات المسلمين واجب على الجميع، ولا يُشترط فيه تمتع الفرد بخصال تزكية محددة، كالإيمان والنزاهة والعدالة وغيرها، بل يجب القيام به ممن له القدرة والالتزام بنظم الدفاع، فهذا المنكر أيضاً (أي منكر)، هو خطر على المجتمع كافة، وعلى البلاد والمسلمين بل والبشريّة كافة، ولو حصل أن فاسقاً تبرّع في مقاومة منكر معين، يُقبل ذلك منه، فليس هنا محلاً للعدالة لإقامة صلاة الجماعة أو الإفتاء، كي تتوقف هذه الأعمال عليها.

بعضنا يتعاطى بجفاء غريب مع أي دعوة للإصلاح حين تصدر من فاسق، وكما لو أن الدعوة للإصلاح ممنوعة عليه، لمجرد حصول بعض مظاهر الفسوق منه في بعض سلوكه.

المقال يدعو لأن نقبل من أي شخص ما يصدر عنه من صواب، لأنه مكلف مثل بقية أفراد المجتمع برصد الأخطاء والنهي عنها، ورصد المعروف والأمر به فهو محاسب عن تقصيره في ذلك لو حصل منه كما غيره، فإن دعا إلى خير أو نهى عن منكر استحق الأجر والثواب بذلك، وعليه كما غيره الحرص على جمع أكبر محصول ممكن من الأعمال الصالحة، والحسنات يذهبن السيئات.

ومن المؤكد أن تفاعله مع الأمر بالمعروف ونهيه عن المنكر في جوانب معينة لها أثر ملموس على سلوكه العام ولو بعد حين.

يجب أن لا ننشغل بتقصير طرف في مجال معين للقول برفض كل ما يقدمه في المجالات الأخرى.

قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً** ﴾، ونفس الأمر هنا، فبعض غير المسلمين وبعض الفاسقين منهم يرصد الفساد الإداري في مجتمعه مثلاً ، وتحركه دوافعه الإنسانية السوية لأن يناضل في سبيل اجتثاثها واستبدالها بسلوكيات الأمانة والشفافية، وبالتالي دوافعه الإنسانية السوية مجال خصب يمكن الرهان عليها بقطع النظر عن تسليمه بعقيدة صحيحة محددة.

ليس المطلوب التسليم بأي شهادة تصدر من أي شخص إلا بعد استيفائها لشروط القبول بها، ومن هنا إذا جاء فاسق بنبأ يمس جوانب عامة يشترك فيها مع الجميع في التأثر بها في مجتمعه، فليس من المنطق في شيء تجاهله تماماً، بل يلزم التأكد من صحة نبئه، فإن أصاب استُحسن ذلك منه، وإن أخطأ استقبح ذلك منه، فهو كأحد أبناء مجتمعه يحق له أن يُسهم في إصلاح الأوضاع العامة في الحدود المتاحة له بما يعزز فعاليته الإيجابية في مجتمعه.

والأكيد أن الفاسق يتأثر بكل خير يفعله إيجاباً، وليس بالضرورة نلمس ذلك مادياً في كل حركته، والدليل على ذلك أن الفرد الفاعل للمنكر في مجال معين، يخجل من منكره ويجتهد في تغطيته، فلو كان لا يتأثر أبداً بما يقوم به من أفعال

صالحة؛ لكانَ تطوّرُ المنكر ملموساً لديه بحيث يظهر جلياً في كل حركته، فيأتي متجاهراً بكل مُنكره، ولكن الحسنات يُزاحمن السيئات عنده، وينتج عن ذلك مراجعات تكبر وتصغر بحسب حضور أفعاله الصالحة في وجدانه.

لذا واجبنا جميعاً إذا رصدنا من أحدنا خيراً استحسناه منه، وعملنا على حثه للمواصلة فيه وتعزيزه بنظرائه، وإن رصدنا منكراً منه في مجال آخر، راجعناه بالنصح وراهنا على الخير الذي نعرفه منه، واستذكرنا معه ذلك.

رسالة الموضوع يمكن اختصارها، بأنها دعوة للرهان على بقايا الصلاح التي في الناس، وإن اقتصرت على مجالات معينة حالياً، وحثهم على تعزيزها فيهم من خلال قبول المتيسر الصالح منهم ابتداءً، وكسبهم لتعزيزه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

| حب المرأة للرجل |

57

كانت نائمة على صدره، فأخبرته أن نبضه يزعجها، فحبس أنفاسه، وأكملت نومها، وعندما استيقظت، وجدته قد توفي، لأنه حبس أنفاسه من أجلها[11].

ربما أراد الكاتب أن ينقل لنا، أن الرجل لو اتبع ما تريده المرأة لمات، والموت هنا تعبير مجازي عن السلبية وعدم النشاط وعدم الإنجاز في أي مجال من المجالات، وبالتالي مَن يتبع حبيبته (المرأة)، فهو بحكم الميت واقعياً.

المرأة إذا أحبت الرجل، تكون أنانية، ولا تفهم شيئاً غير إرضاء حاجاتها العاطفية، والتي تريد من الرجل أن يستغرق فيها، ولا يهمها إن كان ذلك على حساب أهله أو عمله أو مكانته الاجتماعية أو غير ذلك من التزاماته ومكاسبه الشخصية.

تريده إنساناً لا همّ له إلا قربها والتودد لها، تريده منقطعاً عن كل العالم من أجلها، ولهذا هي واقعاً تحب نفسها حين تحرص على ما يُلبي حاجاتها وتستلذ بالاستغراق فيها ولا تريد التفكير بسوى ذلك.

(11) منشور تم تناقله في برامج التواصل الاجتماعي.

الكاتب ربما أراد أن ينقد عقل المرأة، ولكن بلفتة جانبية، فهي لا تفهم أن الرجل الذي تحبه يمكن أن يحتاجه غيرها سواء كان المحتاج مجتمعه كناشط أو عمله كموظف أو دينه كملتزم أو أهله كابن أو أخ أو زوج أو أب.

(**عندما يعشقُ الشاعرُ امرأةً يحولها إلى فراشةِ حقل، وعندما تعشقُ المرأةُ شاعراً، تحوّله إلى قاطفِ وردٍ في حقلِ اللغة، لا يتنفسُ إلا شذا مفرداتها الطازجة**)[١٢].

عندما تعشقُ المرأة شاعراً تحوّله لرماد كما حوّلت غيره، فلا تبقي له أي مكسب بحياته.

المرأة إذا عشقت لا ترى شاعراً أو طبيباً أو أي صفةٍ في معشوقها، هي ترى مخلوقاً تريده لها وتحبسه في ما تفترضه نعيمها فقط، وما تراه المرأة نعيماً، يراه الرجل سجناً وحبساً عن كل شيء بما فيه العطاء والإنتاج في تخصصه وفي غير تخصصه.

لذلك إذا أردت أن تدعو على عدوّك بشيء، فكّر بالدعاء عليه أن تعشقه امرأة !

جرّب.

(12) منشور بحائط أحد الأصدقاء في الفيس بوك.

| حب من نوع آخر |

58

ما نسبة صحة هذا الطرح في توصيف الواقع الأسري في حياة بعض المتزوجين؟

من جانب أحدهما، يُقنع نفسه بأنه يقوم بواجباته العاطفية تجاه زوجه حين يتخذ كل الإجراءات والاحتياطات الممكنة ليُجنبه كشف علاقاته بغيره.

هل صحيح أن أحدهما يكون تعبيره عن حبه واحترامه لزوجه من خلال حرصه على إخفاء علاقاته بغيره من بوابة أنه بذلك يُراعي مشاعره، ولا يُريد جرحه بذلك فيما لو علم به؟

هل صحيح أن أحدهما صار يُقنع نفسه بأنه يوفر قمة الرومانسية لزوجه لمجرد أنه يتفنن في إخفاء علاقاته بغيره؟ وأنه محسن كبير جداً بذلك ما دام يُجنبه أي ألم يمكن أن يُصيبه فيما لو أهمل الاحتياطات الكثيرة التي يجتهد في ابتكارها، ويعمل صادقاً على تفعيلها حرصاً منه على مشاعر زوجه، وبذلك يُعبِّر عن محبته له على طريقته.

ما لاحظته، أن بعضنا يفتعل قيمة خاصة لسلوك معين من طرفه، وذلك ليُمرِّر قبوله لاستمراره في ارتكاب خطأ هنا أو هناك، فبعضنا في مثل هذه الحالة، يكذب إلى أن يُصدّق كذبته، وذلك حين يُعطي اجتهاده في إخفاء تواصله المحرّم

قيمة خاصة، ويُقنع نفسه بأن ذلك حين يحصل منه إنما يكون لحضور الاحترام والتقدير الكبيرين منه لزوجه، ويروّج لهذا السلوك داخله حتى يتضخم في نفسه مع الوقت ليشعر معه لاحقاً بأنه محسن فاضل حين يحرص على ذلك.

الإنسان كثيراً ما يلجأ لافتعال مبررات لسلوكياته الخاطئة، فلا يأتي إلى سلوك خاطئ، إلا وقد أحاط نفسه بسور من الحجج التي يفتعلها ويُضخّمها في نفسه، ولا يعدم جانباً يستحسنه في زاوية من زوايا تفاعلات وتبعات ذلك السلوك، وهو ما يجعله يُقيمُ عنده ويبني عليه مبرراته لاستمراره فيه.

| الزواج من علاقات الإنترنت |

59

ما هي فرص نجاح الزواج من علاقات الإنترنت؟

هناك فرق بين أمرين:

بين (فرصة حصول الزواج الدائم من علاقات الإنترنت)، وبين (فرصة نجاح ذلك الزواج لو تم).

أزعم أن فرصة حصول الزواج الدائم من علاقات الإنترنت ضعيفة، وأظنها قليلة. ولكن تلك النسبة الضعيفة والقليلة لو حصلت، فإني أزعم أن فرص نجاحها لا تختلف عن فرص نجاح غيرها من الوسائل.

لأن الإنسان إذا ارتبط بزواج دائم بامرأة، لا يتزوجها وحدها، بل يرتبط بباقة كاملة من العلاقات مع أهلها، وغير ذلك من اعتبارات لها قيمة.

وكأي متزوج لن يتزوج امرأةً، إلا ولديه مقومات الاستمرار معها، والارتباط بزواج دائم بفرحة معلنة، يعني أن التراجع عنه مُستبعد وشاذ بالأصل، وبالتالي لا فرق في مصير الزواجات الدائمة إذا كانت بطريقة تقليدية أو بطريقة تقنية.

| حال المخطئين |

60

كـان يسـير دون أن يلتفـت إلى ورائـه أبـداً، و حـين قـرر أن يتراجع اصطدم بالطوفان[١٣].

هكذا عادة حال المخطئين، لو تأملنا حال المخطئ، سنجد أنه اندفع متبعاً هواه في سكرةٍ أذهبت عقله، وغفلةٍ أذهبت رشده، وإذا ما فكّر أن يتدارك أمره بعد مسيرة طويلة، يجد نفسه مكبّلاً بتبعات تلاحقه من خلفه، ولها صلة بأخطائه في ماضيه، فيصطدم بها، فإما إن يستسلم لها أو يُقاومها.

ونادرون أولئك الذين يملكون عزيمة المقاومة بين المخطئين.

وبعضهم لا يبرح موقعه حائراً ومنتظراً من قوة خلف الماديات تبصر حاله، وتحسم له أمره، بعد أن كسّرت الأيام مجاديفه وظل بلا قارب يحمله ولا حيلة تنقذه.

(13) منشور حائطي لإحدى الزميلات في الفيس بوك.

| الفجور في الخصومة |

61

البعض يفجر في خصومته إلى درجة الإفراط مع مَن يُخاصمه؛ فينسب لخصمه كل قبيح، ويتساهل في هتكه والتطاول عليه دون توثق، بل يتعمد الفجور مع سبق الإصرار والترصد.

وفي المقابل يتفرج خصمه عليه وقد ضبط أعصابه رغم قدرته على الرد والتعاطي معه بذات الأسلوب، إلا أن ورعه يمنعه عن النزول لذلك المستوى من الفجور؛ فكل إناء بما فيه ينضح، ونجده يُراهن على نصرة ربه له ولو بعد حين، وهو ما أشار له الإمام السجّاد عليه السلام حين قال: « كفى بنصر الله لك، أن ترى عدوَّك يعملُ بمعاصي الله فيك ».

مثل هذه الأدبيات نلمس حاجة لنشرها، لأن الطرف المظلوم يحتاج أن يلمس في المتابعين لحركته تفهماً لسلوكه المنضبط في تعاطيه مع الظالمين له، فكثيراً ما يُعاني الطرف المظلوم من شعوره بالتقصير تجاه نفسه إعلامياً حين يجد مَن يُخاصمه وقد استحوذ على الساحة بصوته، ولذا يحتاج أن يشعر بأن الآخرين المتابعين للمواقف يتفهمون سلوكه ويعطونه حقه من التقدير الذي يستحقه باعتباره نابعاً من ورع وحسن خُلُق، وليس من ضعف وجبن وهوان.

| مسكين ابن آدم |

62

نعاني أحياناً من اضطرارنا للتقصير مع مَن يُحبنا، ليس ذلك من نذالةٍ فينا ولا أنانية، ولكننا نواجه تزاحماً بواقعنا، يجعلنا نعطي قليلاً مَن يطلب منا الكثير.

توصلت لقناعة أن ذلك بعين الله سبحانه، فهو يعلمُ أننا في تقصيراتنا مع هذا الطرف أو ذلك رغم حماسته لنا، إنما يكون نتيجة اضطرارنا لتسديد وقتنا وتركيزنا مع متطلبات تزاحمنا بالوفاء لها أيضاً، ونجتهد لتسديد الأمور بناء على ذلك.

مسكين ابن آدم، لا يملك قلبين في جوفه، ولا يملك إدارة قلوب غيره.

| انفعالات المرأة اللفظية |

63

المرأة في لحظات انفعالها حين تدعو بكل الشرور على أبنائها أمام أبيهم، وتهمهِم من سوءِ معيشتها معه، هل تدرك مستوى التعقل الذي يحكم أعصابه؟

المرأة تدرك أن عقل الرجل أرجح من عقلها، ولهذا تعتب عليه إذا انفعل كردةِ فعلٍ على انفعالاتها، فهي تتوقع من الرجل أنه يملك أن لا يدين عقله بعقلها.

المرأة لديها حسن ظن كبير بربِّها أن لا يوقع دعواتها على أبنائها، فهي دعوات (غضب)، وليست دعوات (حاجة)، ولديها أيضاً حسن ظن بزوجها أن لا يلتفت لفحوى شكواها المتكرر من معيشتها معه، وذلك بحجة أنه أعقل من أن يدقق في ذلك.

| المرأة وشهامة الرجل |

64

قال صديق: التعاطف مع قضايا المرأة حماقة يرتكبها الرجال بشهامة، وعلّقَ آخر: التعاطف مع قضايا المرأة شهامة يرتكبها الرجال بحماقة.

وأما أنا فقلتُ: هي حماقة نتيجتها الندامة، ولكن الرجل حين ينساق معها، لا يكون ذلك من شهامة فيه، بل من (لعانة) فيه.

كل طرف يمارس (اللعانة) بما يناسب موقعه، فالمرأة أدركت أن دور المتظلّمة يلفتُ الأنظار لها لتلبية حاجاتها، والرجل يلتفت لها لتلبية حاجاته.

المرأة لا تريد من الرجل أن ينصر قضيتها بشهامته النبيلة النقيّة، بل تريده أن ينصرها منقاداً لها ولحساباتها فقط.

شهامة الرجل الحقيقية قد تكون عائقاً عند المرأة لو تزاحمت شهامته معها مع التزاماته الأخرى التي تحتاج شهامته أيضاً، حتى لو كانت أداء عبادة في حق خالقه أو عملاً فيه لقمة عيشه ومن يعولهم.

فهنا سيضطر الرجل لترتيب أولويات شهامته لو كان عاقلاً. وهذا لا يمكن أن تقبل به المرأة، فهي تريد شهامةً تستجيب لحاجاتها وحساباتها فقط، وكأنها تريد شهامة الرجل منوطة بوصايتها عليه.

الشهامة لا يمكن أن تكون شهامة إذا تجرّدت من العقل، ولا يمكن لرجلٍ عاقل أن يكون شهماً مرضياً عنه عند المرأة.

والمشكلة أن كثيراً من الرجال يظنون أنهم استثناء، فيقعون في الفخ من بوابة تجربة حظهم مع النساء الأجنبيات، فيستثمرون شهامتهم الزائفة فيهن، والذي علينا معرفته أن الاستثناء سُمي استثناء، لأنه ليس كثيراً، ولذا علينا أن نسأل أنفسنا بصدق: ما الذي نمتلكه من مزايا لكي نكون استثناء ؟!

| تكامل وليس تزاحم |

65

كيف يقيس الوالدان مدى نجاحهما مع أبنائهما؟

سؤال حضري، وأتمنى من كل أب أن يُجيب عليه بصدق، وهو:

هل (أنتَ) في ظهر الغيب قبل أن تغمض عينيك تلهج بالدعوات لأولادك – كل ليلة – ؟

ستتفاوت الإجابات بين الآباء في تقدير نسبة فعلهم لذلك في لياليهم، ولكن الأمهات لا يغمضن أعينهن إلا وقد أتين على كل ما يستحضرنه من أذكار يطمئنن بها على أبنائهن.

الأم تخاف على أبنائها حتى وهم في حضنها، فضلاً عن قلقها عليهم إذا ما كانت بعيدة عنهم. وهو ما لا يمكن أن يستشعره الأب بنفس المقدار لاختلاف دور وطبيعة كل جنس.

الأب بطبعه متقوقع وغير منفتح مع أبنائه، ولا يستجيب لأي طلب لهم، ولا يتحمس للنقاشات الطويلة معهم، ويستتفه بعض طلباتهم، وذلك بعكس الأم التي تقابل كل ذلك منهم، فهي فطرت على إغداق حبها عليهم تسامحاً حد التهاون معهم غالباً، ولهذا يطلبها الأبناء في حاجتهم للدعاء لاحقاً إذا ما كبروا، فهي منبع الرحمات بالنسبة لهم.

الأبناء يتجهون لتأمين حاجاتهم بتلقائية صادقة حين يضعون الشيء في موضعه المناسب بحسب ما أخذتهم إليه خبرتهم التراكمية بالحياة مع والديهم، فهم يتجهون للأم بطلب الدعاء لهم للتوفيق في مسيرة حياتهم، ولكنهم لا يستشيرونها عادة في القرارات المصيرية، والتي عادة يشعرون أن الأب هو الوجهة الأنسب في ذلك.

يرتبط اسم الأم عند الأبناء بالحنان والعاطفة المتدفقة، ويرتبط اسم الأب عندهم بالتعقل والموازنة. ولذا هناك تكامل بين دور الوالدين، وليس تزاحماً، فإذا أراد كل أب أو أم أن يقيس مدى نجاحه مع أبنائه، فعليه أن يقيس تفاعلهم مع ما يناسب دوره وطبيعته.

| اقتراض الغرباء |

66

إنّه من المثير أن يأتيك إنسان لا تربطك به أية صلة، أو تكون علاقتك به في حدود مبادلة السلام فقط لا غير، أو لربما يندر أن تراه أياماً وشهوراً، ويطلب منك مبلغاً مالياً كقرض، فهذا يُثير علامات استفهام كثيرة، فطلب قرضٍ مالي من آخر من الأمور الصعبة على النفس الكريمة، ولذا يلجأ الإنسان إذا اضطرته الظروف لحصر الطلب من أقرب المقرّبين حفظاً لماء الوجه.

طلبُ أحدهم مساعدة مالية من شخص آخر ليس ضمن دائرته الطبيعية الاجتماعية، أفهم منه أنه يُريد به قضاء حاجة لا يُريد أحداً الاطلاع عليها من أهله المقرّبين، وهو ما يحق لنا معه وضع علامات استفهام بحثاً عن دوافع ذلك.

ولذا علينا أخذ الحيطة والحذر في مثل هذه الظروف، فحين نعيش حالة الاستغراب من طلب أحدهم المادي، وهو من غير دائرتنا الاجتماعية الطبيعية (الأهل أو الأصدقاء المقرّبين)، فإن علينا التدقيق في التجاوب معه، فلربما يكون الأمر فخاً قد نصب لنا، وعلينا استحضار أسئلة من قبيل: لماذا لجأ لنا في مبلغ متوسط الحجم مع وجود بدائل لنا من أهله وأصدقائه المقربين؟

هل يمكن أن يكون قد استنفد كل محيطه وجاء دورنا بالنسبة له؟

أليس في الأمر ريبة؟!

معروفٌ عن كثير من الطيّبين، أنهم لا يُفصحون عن مساعدتهم للآخرين في المبالغ المتوسطة القيمة؟

وبالتالي هناك احتمالية لأن يستغل متربّص تلك الخاصية فيهم، فيأخذ منهم مبالغ متعددة من هذا وذاك دون أن يلفت نظرهم، ثم لا يُسدّد التزاماته لهم، فيُماطل ويتعذر ليكسب الوقت لصالحه، وتضيع حقوقهم نتيجة خجلهم من ملاحقته في مبالغ متوسط القيمة أمام أهله أو المحاكم.

وخاصة أن بعضاً من تلك المبالغ يتم تسليمها بشكل ودي، ودون توثيق بحكم طيبة الطرف المساعد وحماسته النبيلة لتلبية حاجة غيره.

الواقع يُخبرنا أنه يحصل أن يأخذ المتربّص من صديق طفولة بضعة آلاف، ومن جار قديم مثلها، ومن صديق العائلة، وهكذا، وكل واحد منهم يظن أنه وحده الذي تم اللجوء له، وليس لديه أية فكرة عن إمكانية أن يكون مجرد حلقة في سلسلة طويلة من الضحايا.

علينا التوقف أمام حالات كهذه بشيء من التدقيق واليقظة، فليس من الحكمة المسارعة لخدمة شخص في طلباته المادية المتوسطة القيمة مع أننا لسنا من محيطه الاجتماعي الطبيعي.

هناك ضرورة ملحة لتأمين ثقة الناس ببعضهم، فذلك مهم لحصول التكافل بينهم على أرض الواقع.

وهنا تكمن أهمية مثل هذه الموضوعات، فكلما أنقذنا إنساناً نبيلاً من مثل هذه المواقف، كلما أسهمنا في حصول التكافل الحقيقي بين الناس الذي يعزز ترابطهم ومودتهم لبعضهم.

والعكس صحيح، فكلما وقع المزيد من الضحايا لهذه النوعية من النصب، كلما ضعف حماس الطيّبين لمساعدة المحتاجين من محيطهم الطبيعي وغيره.

وهذا شاهد نقله لنا صديق، وفيه أن شخصاً يعمل معلِّماً، أراد الحصول على بعض المال، ذهب إلى شقة أحدهم، وعندما طرق الباب، خرج له شخصٌ آخر، فلم يكن الشخص الذي قصده، بل أخوه، لأنّه ظنَّ أنّ الذي يسكن في تلك الشقة هو الشخص المقصود، وذلك اشتباهاً منه بين الأخوين، ورغم اعترافه له أنَّه أخطأ في المجيء إليه، ولكنّه لم يتردد في طلبه المبلغ المطلوب.

طلب ألفي ريال على أن يُعيد المبلغ في الغد بعد صلاة الظهر، وبين طيبة ذلك الشخص ودهشته من الطلب، وافق أن يعطيه نصف المبلغ، وذلك لعدم مقدرته على تأمين المبلغ كاملاً في لحظتها، فأخذ منه المبلغ برحابة صدر، ومرّت الأيام، ولم يرَ صاحبه!

وبعد متابعة الأمر مع إخوانه وأصدقائه، اكتشف أنّه مجرد حلقة في سلسلة طويلة من عشرات الضحايا، واستخلف ربّه في المبلغ الذي خسره، وحمد الله أنّه لم يأخذه الحماس أكثر لتسليمه المبلغ كاملاً.

| قرض أم سرقة |

67

« مَن تزوج امرأة بصداق ينوي أن لا يؤديه إليها، فهو زانٍ، ومن استدان دَيْناً ينوي أن لا يقضيه، فهو سارق ».
[حديث شريف].

اعتاد بعضهم أن يقترض من زملائه مبالغ صغيرة لقضاء حاجة ملحة في حينها، ثم تمر الأيام دون أن يُبادر لسداد ما ألزم نفسه به.

ولأن المبلغ المقترض من الأرقام الصغيرة نسبياً، فإن صاحب الحق يعتريه الخجل من تذكير زميله بالمبلغ لسداده، وبالتالي فإن سداد ذلك المبلغ مرهون بمدى حماس المقترض ورغبته الجادة في السداد، وهنا تضيع حقوق وحقوق.

الواحد منا صار يهمس إليه جلساؤه بأن فلاناً يفعل ذلك مع أكثر من شخص، وأنه أخذ جولة على جميع أصدقائه وزملائه مقترضاً من هذا ثلاث مئة ريال، ومن ثانٍ خمس مئة، ومن ثالثٍ ألف.. إلخ.

بعض المحسنين من فرط طيبة قلبه ينسى التزامات الآخرين له، ولذلك حين يتم تذكيره بحقوقه تلمس أنه غير متيقن منها، ولذا حين يعود إليه مبلغه يكون قد

حاز ما شعر بأنه دخل إضافي غفل عنه، وبالتالي تزداد سعادته به، وكما لو كان قد حاز هدية غير متوقعة.

نحن نعيش بين نوعين من البشر، فمنهم ﴿**مَن إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ**﴾ وهو خجل منك وكله مودة لك ويُشعرك بأثر إحسانك إليه في قضاء حاجته.

ومنهم ﴿ **مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً** ﴾، بل بعضهم لا يؤدّه إليك سواء قمت عليه أو لم تقم، بل قد يقلب الطاولة في وجه المطالب بحقه وينسب له إما الكذب والاختلاق أو ينسب له شيئاً دون ذلك مثل اتهامه بالعجلة والإلحاح والتسبب في إزعاجه من أجل بعض المال.

أعرف أحدهم إذا ما جاءه مقترض يطلب منه مبلغاً صغيراً، لا يتردد في مساعدته ما دام ذلك في إمكانه، ولكنه يتعمّد عدم إعطاء أي إشارة توحي بأنه استغنى عن حقه في استرداده.

والدافع لذلك ليس الرغبة في استرداد المبلغ الذي يعطيه المحتاجين، وهو في قرارة نفسه يراها فرصة للتقرب لله تعالى من خلال الإحسان إلى إخوانه المؤمنين، ولكنه يفعل ذلك ليجعل الطالب للمبلغ أمام وجوب استحضاره لأهمية الوفاء بحقوق الآخرين.

وإذا ما لمس في أحدهم صدقاً وحرصاً على السداد، إما يرفض المبلغ جملة وتفصيلاً أو يأخذ بعضه ويرد بعضه للمقترض مع عبارات الثناء على صدق التزامه بوعده الذي قطعه على نفسه في توقيت القرض.

ومع الأطفال تجدر الحاجة لتربية الأطفال منذ الصغر على ذلك، وأنهم إذا ما جاءونا يطلبون مبلغاً منا، وقد اختاروا بأنفسهم أن يكون عنوان تلك العملية هو القرض، فإنه من الجميل أن نعتمد قرارهم ونلزمهم بما ألزموا به أنفسهم لتربيتهم على أهمية ذلك في مستقبل حياتهم، وإذا ما أعادوا المبلغ في التوقيت المناسب يلمسون منا الثناء والتشجيع على ذلك، ونأخذ المبلغ منهم لتكتمل الصورة أمامهم.

| خداع النفس |

68

أنا أيضاً أعرف كيف أتخلى، أهجر، أغيب،
لكن بداخلي (ذرة وفاء) لم تمت[١٤].

نكذب على أنفسنا بهذه الأدبيات، لنوهم أنفسنا بأننا نعيش نبلاء معها، ولكن الواقع أننا نغطي استمرارنا في أخطائنا بهكذا قناعات مفتعلة.

متى نصحو ونواجه أخطائنا بلا مخادعة للنفس؟

علينا أن لا نعيش ضحايا هذه العبارات التي نكذب فيها على أنفسنا ونتوهم أننا فضلاء بذلك، وربما نستمر في ارتكاب أخطاء بسببها ونبررها بهذه الأدبيات.

(14) منشور تم تناقله في برامج التواصل الاجتماعي.

| لا تخدع مرتين |

69

رُوي عن الإمام محمد الجواد عليه السلام، قوله: « كفى بالمرء خيانة، أن يكون أميناً للخونة ».

أعجب حين تمر بي حالات من هذا القبيل، فتجد بعض المؤمنين يدقّقون كثيراً في مداراة الفاسقين الذين خبروا خيانتهم وسرقتهم وكذبهم ومكرهم في تعاملهم معهم، ولا يقبلون انتقاصاً من أحدٍ لهم.

وتجدهم يتغاضون عن سيرتهم المليئة بالخداع بحجج واهية، وكأنهم رضوا بأن يكونوا مغفلين، وقد وقعوا ضحية لخداع النفس حين يوهمون أنفسهم بأنهم إنما يتصرفون استناداً لأصلهم الطيب، وأن كل طرف يتصرف بناء على أصله.

المؤمن ليس مغفّلاً كما يُفترض، وواجبه أن لا يسمح لأحد أن يتجاوزه ويستغفله.

وقد قال ابن سيرين: (إني لست بخب، والخب لا يخدعني). والخب: المخادع.

إني أتفهم أن لا يُظهر بعضنا انفعالاته علانية ضد بعض الفاسقين لاعتبارات يُقدّرها، ولكني لا أجد مبرراً للتغاضي عن أخطائهم في وجدان المتضرر منهم،

واستمراره في التعاطي الشخصي معهم بالحسنى لدرجة تكرار خدمته لهم في حاجاتهم التي خبرهم فيها لئيمين لا يلتزمون بوعد ولا ميثاق!

للأسف لاحظت أن غالبية الذين ينطبق عليهم هذا التشخيص مِن أخواتنا المؤمنات حين تتواصل إحداهن مع فاسق، وتستدرجها المواقف للتعاطي معه وتلبية مطالبه، فيغرّر بها ويسرق مالها بحجة الاستدانة مثلا، ولا يسدّد لها فلساً.

وربما تضطر لبيع بعض مجوهراتها في ذلك أو تستدين من أهلها أو تأخذ قرضاً من البنك باسمها إذا كانت موظفة، أو تشترك باسمها في جمعية مالية وتسلّم المبلغ للفاسق المغرِّر بها أو غير ذلك من مهازل مفجعة.

وفي الحديث: « الْمُؤْمِن لَا يُلْدَغ مِنْ جُحْر مَرَّتَيْنِ »، وللأسف هناك من رضي أن يُلدغ مرات ومرات.

وفي سيرة رسولنا الأكرم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ نجد أنه حين لمس من أحد المشركين – وهو الشاعر أبو عزة الجمحي – تكراراً للخيانة وعدم الالتزام بالعهد الذي قطعه على نفسه في المرة السابقة، لم يغفرها له ثانية.

وقال له: «واللهِ لا تمسح على عارضيك بمكة، وتقول: خدعتُ محمداً مرتين».

وللأسف هناك كثير من الفسقة يتباهون أمام أصحابهم بأنهم نجحوا في تكرار خداع المؤمنات وبحيل في أغلبها سهلة.

وهنا تحضر المقولة: عارٌ عليك إن خدعتني مرة، عارٌ عليَّ إن خدعتني مرتين.

| المعاشرة الجنسية الزوجية |

70

الابن الشاب: لماذا يا أبي حين كنا صغاراً كانت علاقتك مع أمي أفضل، وإذا ارتفع صوتكما على بعضكما في خلاف طارئ، فإنه سرعان ما يخمد الخلاف، أما الآن حين كبرتما، فالملاحظ عليكما كثرة الخلاف وعلو النبرة تجاه بعضكما، وكأنكما خصمان لدودان ؟!

الأب العجوز: مات الذي كان يُصلح بيننا.

لا شك أن التواد بين الزوجين للعلاقة الجنسية حضور مهم فيه، ليس لأنها ملتقى لشهواتهم فحسب؛ بل العلاقة الجنسية ملتقى للمودة والرحمة، ولها ما بعدها في الشعور بالأمان النفسي والأسري، وينعكس إيجاباً على الجو الأسري العام بحيث تخف التوترات والاحتكاكات التافهة.

| ذوبان الفروق بين الأسر |

71

الواقع أن الحلول الأسرية الضيّقة لم تعد ذات جدوى في تأمين سلوك تربوي سليم للأولاد والبنات في القرن الحادي والعشرين، إذ أن انتشار وسائل الاتصالات وتطورها أدى إلى ذوبان الفروق بين العائلات المحافظة وغير المحافظة والغنية والفقيرة إلى حد كبير.

ويُلاحظ الجميع أن أبناء جميع الفئات والتصنيفات صارت وسائلهم متشابهة، فالإنترنت والهواتف النقالة والفضائيات وغير ذلك متاح للجميع، ولا يحتاج الأمر مستوى معيشي جيّد للسفر لبعض البلدان للاطلاع على ما فيها من سلوكيات وثقافات، بل صار كل ذلك متاحاً بآليات سهلة للتفاعل معها.

التواصل بين الناس لم يعد يقتصر على بيئتهم الأسرية المباشرة، ولم يعد بالإمكان حجب الفرد عن التأثر بالبيئات الأخرى التي صارت تفرض التفاعل معها ثورة الاتصالات الحديثة.

جربت بعض الأسر المتدينة بناء سور حاجز يمنع وصول ثورة الاتصالات إلى أفرادها، فمنعت الجوالات عن أبنائها، وعمدت لتنقيح الفضائيات المتاحة إلى الحد الأدنى المناسب لثقافتها المحافظة، ولكنها فوجئت بأن ثورة الاتصالات بشقها السلبي بلغتهم من خلال زملائهم في المدرسة، واكتشفوا أن تفاعل أبنائهم مع تلك

الجوانب بلغ حداً مفجعاً عبر تلك النافذة، فثورة الاتصالات إن منعها أحدهم عن بيته، كيف سيمنعها عن كل محيط أسرته الذي يعيشون فيه؟!

وهنا يجب التحرك لرفع منسوب الوعي العام بالتوازي مع رفع مستوى الوازع الديني، وربما يكون ذلك التحرك بطيئاً، ويحتاج زمناً للوقوف على نتائجه، ولكن يجب علينا معرفة المعيار الحقيقي لقياس مدى النجاح من تفعيله، فليس صحيحاً أن المطلوب من ذلك هو خلق مجتمع ملائكي، فهذا من الاستحالة تحقيقه في ظروف الحياة الدنيا، ولكن المطلوب في كل الأحوال تعزيز ما يمكن تعزيزه من جوانب إيجابية في الوسط العام، وتحجيم الجوانب السلبية قدر المستطاع.

وليس بالضرورة استمرار حصول بعض الأخطاء والتعاطي معها يعني فشل كل التحرك الإصلاحي، فربما نجاح التحرك الإصلاحي يمكن تحسسه بالنظر إلى نجاحه في الحفاظ على حدود معقولة لبعض الأخطاء، لأن المجتمع بدون تلك المقاومة كان يمكن أن يكون في حال أسوأ لا سمح الله.

الأمل قائم على الرساليين بأن يستثمروا في ثورة الاتصالات، وليكن حضورهم الفاعل فيها سبباً لوصول رسالتهم التنويرية لجمهورها، فثورة الاتصالات أمّنت لهم جمهوراً عريضاً يمكن الوصول له عبر برامج التواصل الاجتماعي فيها، وليس من المنطق ترك الساحة خالية من رسالتهم التي يُزاحمون بها غيرهم، ولينجحوا في استقطاب أكبر شريحة ممكنة من الناس لقيمة ما يعرضونه لهم من خلالها.

| المرأة وأسى الحب |

72

– قابلَ عمرُ – وهو خليفة – قاتِلَ أخيه بعد أن أسلم، فقال له: أأنت قاتل زيد بن الخطاب؟

– قال: نعم يا أمير المؤمنين.

– قال: واللهِ لا أحبك أبدًا.

– فقال أبو مريم: أوَ تمنعني بذلك حقاً لي؟

– قال: لا.

– قال: إذن يا أمير المؤمنين؛ إنما يأسى على الحبِّ النساءُ.

يُريد أبو مريم أنه مادام لا يظلمه الخليفة؛ فلا يعنيه أحبّه أم كرهه، لأن النساء هن اللائي يأسفن ويتحسّرن على الحب، فلا يستقر لهن قرار إلا بالوصل مع الحبيب؛ وفي سبيل ذلك يبذلن كل عزيز من شرف وكرامة ودين وعقل وأخلاق ومال.

أخشى ما أخشاه على المرأة؛ أن تعيش دور المظلومة في الدنيا، وتحاسب حساب الظالمة في الآخرة، وذلك لأنها تأسى على حبّها لرجلٍ؛ فتعاود الرهان على احتمال وفائه لمشاعرها كل مرة رغم تكرار خذلانه وإذلاله لها في مواقف كثيرة،

فظلمتْ نفسها وظلمته معها، فتلاحقه بما تفترضه حقها نظير صدق حبّها له وحسن ظنها به وتغافلها عن عظيم زلاته معها.

وهو يبتعد عنها هرباً من مقابلة استحقاقات حبّها وتبعات ملاحقتها له على حاضره ومستقبله؛ وخاصة في العلاقات السرية بين الجنسين – وهي أغلب حالات الحب المزعوم في الواقع – والتي يُلاحظ في معظمها حصول حماسة لافتة عند المرأة لما تفترضه آمالاً مشروعة عندها لاستمرار العلاقة ونموها.

وفي المقابل؛ حصول مراجعات متكررة عند الرجل في سعيّه للانسحاب التام أو الاكتفاء بمستوى يُناسب زهده فيها.

| الزواج الجماعي |

73

مهرجان الزواج الجماعي بالطرف انطلق عام ١٩٩٣م، ولفت الأنظار له لمحاكاته في حاضرتي (الأحساء والقطيف) بعد أن استقرت الشهادات عليه كمشروع متكامل [ديني – اجتماعي – اقتصادي – تربوي – ثقافي – فني].

المهرجان بوابةٌ استثمرها الأهالي لتعزيز التكافل الاجتماعي بينهم واكتشاف المواهب الإدارية والفنية على مر الأجيال، فالمشروع يجتمع إليه المتطوعون من جميع الأعمار على اختلاف تخصصاتهم وتفاوت مسؤولياتهم، وذلك في لوحة تكاملية تكافلية قلّ نظيرها.

المهرجان لم يعد واجهة لمسؤولية اقتصادية فحسب، بل صار عنواناً لأنشطة متنوعة طيلة العام، ومنها الأنشطة التثقيفية التي تؤسس لبناء أسرة مستقرة، وبالتالي مجتمع فاضل ومتماسك، فضلاً عن كونه ملتقى توحدت الأرواح والسواعد على استمراريته وتطويره، فهو مُنتج الأهالي الذاتي، ومصدر فخرهم واعتزازهم، فمنجزاته تمت بواسطة الواحد منهم [نفسه] أو قريبه المباشر أو جاره.

إن أهالي بلدة الطرف يعرفون مكاسبهم من هذا المشروع، ولذا يحرصون عليها، ويتنادون للمحافظة عليها وتعزيزها، فبه ومعه صاروا يقيسون مستوى وعيهم وإسهامهم كمستثمرين مُحسنين في حاضرهم ومستقبل أجيالهم.

مهرجان الزواج الجماعي بالطرف عنوان وحدة اجتماعية نبيلة، وتكافل اقتصادي متقدم، وساحة ميدانية لاكتشاف المواهب وتنميتها، ومؤسسة تربوية تثقيفية ملتزمة ومسؤولة، وهو باختصار عنوان وعي وحضارة وعمارة للأرض.

| هل نحن استثناء؟ |

74

﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾.

بصراحة.. نحن الرجال في قلوبنا مرض، ونطمع في النساء مع أي لحن في القول، ونظن بهن السوء إن بادرن بذلك في أي تواصل معنا، ونراهن على وجود قابلية واستعداد لديهن لفعل المزيد من المخالفات الشرعية والأخلاقية والعرفية، ونتبادل فيما بيننا التعليقات التي كلها انتقاص من شرفهن نتيجة لذلك؛ فضلاً عن عقولهن.

وبنفس الدرجة من الصراحة.. تستثمر بعض النساء في مرض قلوبنا، ولديهن رهان عليها، ويُريدن لنا أن نعيش بقلوب مريضة دائماً حتى نكون أداة لتلبية حاجاتهن ومصالحهن، والتي يصعب إشباعها، وخاصة في حالات المرض بالجوع العاطفي لديهن.

الرجال والنساء يعرفون هذه الحقيقة، ورغم ذلك يستمرون في افتعال مبررات لتأمين تواصلهم ببعضهم، وفي كل مرة يوهمون أنفسهم أنه يمكن لهم أن يكونوا حالة استثنائية، وأن سقف مخالفاتهم من ذلك التواصل يمكن ضبطها.

والواقع أن فكرة الشعور بالاستثناء؛ إنما هي فتنة واستدراج لنا؛ ويحصل أن تتداخل الأحداث وأنماط الشخصيات المشتركة فيها؛ وما يتجذر في النفوس بناء

عليها؛ فتحاصر الإنسان الآثام ومعاصي العار مع كثرتها بعد ذلك، ولا يجد مخرجاً منها مهما حاول إنقاذ نفسه من تبعاتها؛ فالمحاولات المتأخرة عقيمة عادة، وتراه يضرب كفيه أسفاً على عمره الذي أضاعه فيما أضرّه وبات يحمل وزره وهمّه في حاضره ومستقبله في حياته الدنيا، فضلاً عن أثقالها في آخرته لاحقاً؛ وخاصة مع ضياع حقوق كثيرة وحصول تجاوزات مسّت متضررين على جانب ذلك الطريق الخاطئ الذي سلكه؛ ومعظمها حقوق يصعب أداؤها في حياته، وهناك ترحيل قسري لها لآخرته.

كم هو مؤلم للإنسان أن يجد نفسه مصداقاً لعبارات الحسرة والندم، فيُكثر من ترديدها في كل حركته، فتارة ينطق: ﴿ **يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** ﴾، وتارة أخرى: ﴿ **يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا** ﴾.

| أمهاتنا |

75

أغلب أمهاتنا لديهن قناعة سلبية بأن المرأة مخلوقة للصبر، وإذا تعبت ومرضت؛ ليس لها إلا التحمل وتطويع النفس على ذلك.

مكابرة أمهاتنا ورفضهن للتداوي في المستشفيات أحسبه سبباً مباشراً وحتمياً لتدهور حالتهن الصحية؛ وربما عجزهن المبكر نسبيا – لا سمح الله –.

هي دعوة لحملة توعية جادة تستهدف تنمية الوعي عند الأمهات، وذلك بتذكيرهن بحق أجسادهن وأرواحهن عليهن، فلا معنى لتعذيب أنفسهن وهدر صحتهن بلا مبرر، ويستعجلن بذلك ضعفهن، ويندمن قريباً حيث لا ينفع الندم.

| الناصح |

76

مشكلة الناصح أحياناً أنه يُحملنا عبء حسن ظنه بنا، ويتوقع منا دوماً أن نستنسخ كل تقديراته للأمور، وبالتالي إلغاء تقديراتنا؛ فنلغي مداركنا لصالح ترجيح مداركه.

نقر للناصح بسلامة نواياه، ولكن أحدهم قد يتنكّر لحقّنا في التفكير بتجرد، ويُلزمنا بما يفترض أنه الصواب المطلق الذي لا يقبل النسبية في تقديره.

نحب الناصح حين لا يرهن معزته لنا بموافقته في تشخيصه.

نريده ناصحاً محباً بدون أحكام مسبقة، نريده أن يحتفي باختلافنا معه -إن حصل ذلك- كما يحتفي بموافقتنا له.

| المحيط |

77

يستطيع الإنسان تغيير واقعه إذا أراد ذلك، ولم يمنعه محيطه من ذلك.

المحيط دوره حاسم في الكثير من محاولات إصلاح أحدنا لذاته، فهو إما يُساعدنا ويُشجعنا في ذلك أو -لا سمح الله- يمنعنا من تنفيذ ذلك ويُعرقل خطواتنا الإصلاحية.

ربما بعض محيطنا مستثمر في أخطائنا، وصلاحنا المأمول يُزعجهم، وبالتالي يقاومونه ويُؤجلونه، وربما يُلغونه حين يجعلونه مستحيلا -لا سمح الله-.

محظوظ مَن يوفق لمحيط لا يقاومه حين يتخذ قراراً بإصلاح شأنه وسلوكياته.

| أدب الخلاف |

78

يتحوّل الاختلاف إلى خلاف حاد إذا حصل معه: خلل في القلب، ونقص في الأدب [من الطرفين أو أحدهما].

وهذا شيء من التوضيح السريع:

١. خلل في القلب، فالنوايا السيئة حين تستوطن قلباً؛ لن ينبض بالمحبة لغيره بعدها.

قال الشاعر:

وإذا طابـــــــت النوايـــــــا، تلاقـــــــت

في هـــــوى الضـــــفتين منـــــا الجســـــور

٢. نقص في الأدب، وكلنا أدبنا فيه نقص، وكامل الأدب هو المعصوم –عليه الصلاة والسلام– فقط.

ولكن هناك نقص في الأدب يوصل لمستوى الاعتداء على النفس والآخرين، وعلى الإنسان أن يرفع مستوى أدبه قدر المستطاع ليقدم نفسه بأفضل ما يكون في المواقف المختلفة.

وعديم الأدب لا يُرجى منه خير طبعاً، وهو ليس بيننا بحمد الله.

ليسمع لك المخالف بقلبه، عليك أن تهدأ معه، وتريحه كثيراً، وتظهر له حرصك على إنصافه والإحسان إليه؛ فتتواضع وتتنزّل له، لأن هدفك أن يتعلّم منك ويتلقى ما يجهله ويستقبله استقبالاً حسناً.

يُعلمنا القرآن الكريم كيف ندير حواراتنا مع المخالفين بأدب: ﴿ **قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا (أَجْرَمْنَا) وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا (تَعْمَلُونَ)** ﴾.

الخطاب هنا للمشركين المخالفين: هب أننا مجرمون مبتدعون كما تدعون؛ فنسب الإجرام للمؤمنين، وفي المقابل يكون خطاب الطرف المسلم للآخر: ﴿ **وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا (تَعْمَلُونَ)** ﴾.

لم ينسب الإجرام للطرف الآخر، بل اعتمد أسلوب التنزّل والتواضع لأخذ المخالف إلى الحوار بأريحية؛ وقد كسب قلبه، وليصبح مستعداً لاستقبال نتيجة الحوار.

وتلك هي أعلى درجات الأدب، والمخالف كان مشركاً، وليس أخاً بينك وبينه مشتركات كثيرة.

| رسالتان |

79

أحمل معي رسالتين:

إحداهما للمتدينين جداً، والأخرى للأقل تديناً.

للمتدينين جداً أقول:

ساعدوا المقصرين الذين حُرموا التركيز مع لذة الطاعات، وذلك بأن تقدموا لهم الطاعات في معرض الترغيب، فالطاعات حاجة فطرية تحتاجها النفس البشرية السوية، وليست مجرد عبء تنشغل به لتدفع عنها العقوبات الدنيوية والأخروية.

التركيز على إفراغ الذمة من الانشغال بالواجبات؛ وما يتفرّع عنها من احتياطات؛ ربما يجعل الالتزام بها منزوعاً من الدافعية الذاتية للفرد.

لا أحد منا يتوقع استفادة الإنسان من سلوك تعبدي يُداوم على تأديته؛ وهو منشغل بالخوف من العقوبة التي ستلحق به، ولذا قد نفهم ما نراه من عدم انعكاس الالتزام بالفروض وملحقاتها على بعضنا في جوانب من حياتنا الخاصة.

مهم جداً الأخذ بيد الإنسان لتلمّس مكاسب الاستجابة الفطرية للتواصل بالخالق من خلال هذه الشعيرة العبادية أو تلك، وكل الفضاء طريق لله سبحانه، فالطريق له بعدد أنفاس الخلائق.

وللأقل تديناً أقول:

ساعدوا أنفسكم لتستشعروا لذة العبادات، وذلك بمراجعة تقصيراتكم الذاتية، فربما حرمان أحدنا من استشعار ذلك نابع من مداومته على مخالفات شرعية واضحة؛ ولا خلاف في استقباحها وإدانتها.

مراجعة الذات، وتنقيتها من ارتكاب المخالفات الواضحة سبب مباشر لاستشعار لذة خاصة في التواصل مع الله سبحانه، فكلما كان قلب أحدنا معافى من أدران المعاصي الجليّة، كلما انعكس ذلك في استعذاب ارتباطه بربه في الفروض والمستحبات وعموم حركته في حياته.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ۞ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾.

بلى . . يهديهم ربُهم بـ (إيمانهم)، وذلك بما قدموا لأنفسهم وبذلوه ذاتياً في مقاومة المنكرات وترويض أنفسهم على فعل الخيرات.

| متى نغفر؟ |

80

في بعض الحالات؛ قد لا نشعر جدية عند المخطئ في ترك أخطائه وتجاوزاته بحقنا، فكيف نغفر له ذنباً لا ينوي هجره؟!

وربما اضطر فقط لمداراتنا مؤقتاً حين سدت في وجهه المخارج البديلة!

المخطئ – نفسه – سيُحدد لنا المسار الذي نقابله به، فحماسنا للصفح عنه مبني على نجاحه في إقناعنا بجديته في علاج أخطائه.

| اصنعي التغيير |

81

لا داعي للحسرة بقسوة على ما فات، بل يكفي الأسف الواقعي، وهو الذي يكون معتدلا ومنضبطا ومنتجا.

لا تنتظري من زوجكِ أن يفهم، ولا تنتظري الرومانسية والحنان، بل اذهبي لها أنتِ، قدمي الورود له، واصنعي شيئا مختلفا له كل مرة.

غيّري من شكل المكان، وأضيئي الشموع، فقد يشعر من تلقاء نفسه؛ إن داومتِ على ذلك.

إن كانت اللغة المباشرة؛ لم تجدِ، أو لا تناسب أحدكما، استبدليها بلغة غير مباشرة.

بدل انتظاره أن يأخذكِ لمطعم، خذيه أنتِ، فادعيه على عشاء خارج المنزل مثلا.

المهم .. أنكِ الآن برغبتكِ ومجهودكِ على الطريق الصحيح.

| صدمة الحب |

82

أغلب المصدومين في الحب نساء، لأن أغلبهن صادقات فيه.

أما أغلب الرجال، فعادة يعيشونه كمجرد كذبة، ولا يسلمون من الصدمة فيه أيضا، ولكن الصدمة أخف وقعا عليهم، وذلك لأنهم في داخل أعماقهم يعرفون أنهم مذنبون، ويستحقون بعض مفاجآت القدر المؤلمة فيهم.

أما أغلب النساء، ونتيجة لمعدل الصدق المرتفع عندهن في الحب، فوجعهن أكبر، ويصعب عليهن استيعابه، ويبقين حبيسات له، وذلك لأنهن يشعرن أنهن يستحقن مصيرا أفضل نظير صدقهن فيه.

| تلوين الشخصيات |

83

"إن أظهر لك شخص وجهه الحقيقي، فلا تحاول أن تعيد تلوينه"

بعضنا تكشف له المواقف الصريحة معادن البشر الذين يُخالطهم، ورغم ذلك يتعمد غشّ نفسه وغيره بهم، فيلونهم بما يناسب حماسه الذاتي وحاجاته الضيقة وهواه.

بعضنا يريد ترويض الخائنين والفسّاق ببلاهة، فيتعمد التغافل عن حقيقتهم، ويراهن بسذاجة على تنقيحهم من طباعهم المتمكنة منهم، وربما بالغ في الاستثمار في علاقته بهم، فروّج لهم بين محيطه، وكان سبباً مع ذلك لانخداع المزيد من الناس بهم، وبالتالي الوقوع ضحايا لهم.

كفى بالمرء غباء رهانه على طيبته وحسن خلقه في ترويض ذئاب البشر، فيُقربهم منه، ويُحسن الظن بهم، ويبرر لهم أخطاءهم، ويتغافل عن عظيم زلاتهم، ويستأمنهم على سره، ويمكنهم من أهله وأحبابه.

| جفاف عاطفي |

84

زوجها كان "الإنسان الوحيد" في الكرة الأرضية الذي تردد حين طلبت منه تقييم جمالها، وأجابها: "الجمال نسبي"!

قصدت بإبراز هذه القصة الواقعية، لفت النظر لمعاناة الزوجة إذا ما أهمل زوجها التفاعل معها، فقد تذهب بعيداً بحثاً عن الاهتمام في هذا العنوان أو ذلك.

للأسف الشديد، الزوج هو الرجل الوحيد الذي قد يتردد في التغزل بزوجته، وأما بقية الذئاب لا تتردد أبداً.

كلنا نعرف أن زوجته ربما ليست جميلة، ولكنها زوجته وشريكته. وإنما سألته عن جمالها طلباً لغزله.

يفترض المنطق السليم، أن يُجيبها بما يحتوي حاجتها للغزل والاهتمام. وليس استحضار الدقة التي لا يستحضرها غيره معها لو اتجهت إليهم -لا سمح الله-، وربما حتى هو لا يستخدم ذات الدقة مع غيرها لو لمس حاجتهن لغزله واهتمامه.

ونذكّر هنا بقول الإمام موسى الكاظم عليه السلام : «إِيَّاكَ أَنْ تَمْنَعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَتُنْفِقَ مِثْلَيْهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ»

عجبي لأحدنا، يبذل من مشاعره وأمواله في المعصية أضعاف ما يبذله في أهله، فنجده مسارعاً للبوح بكل المشاعر، ولصرف الأموال في غير أهله، ومع أهله بخيل في ذلك كله.

| الطيبة الخادعة |

85

مؤلم ذلك المشهد الذي يأخذك لمراجعة أحد الطيّبين في أخطاء فظيعة ارتكبها واشترك فيها مع بعض الأشرار، وخاصة إذا تيقنت أن ذلك حصل بمداومة منه عليها، وكذا تعمده التغافل عن كل التنبيهات التي برزت أمامه طيلة سنوات مضت.

في الوقت الذي تجد نفسك مذهولاً ومستوحشاً من حجم الجرم وتداعياته على محيطه الأسري بالذات، تجده – في المقابل – يُراهن على تقديرك لما تعرفه عنه من طيبة وبساطة في نواياه.

يُفتن بعض أهلنا بطيبتهم، فيُوهمون أنفسهم بدور المحسنين حتى مع الأشرار، فيُوادونهم ويُكرمونهم ويُدافعون عنهم، ويُراهنون عليهم، ويُعطونهم الفرص مراراً وتكراراً، وربما شاركوهم في بعض منكراتهم طيبة لخواطرهم.

بعض الطيبين معجبون بذواتهم حد التبرير لأنفسهم فعل المنكرات الصريحة، وإذا راجعتهم لا تلمس فيهم ندماً على الأخطاء في ذاتها، بل تجدهم منشغلين بوجعهم من خذلان شركائهم لهم، وسوء حظهم معهم فقط، فتلمس فيهم شفقة على أنفسهم وانتصاراً لذواتهم، وليس إدانة لها لتتبعها استتابة جادة.

هذا المصداق يحضر مع كل حادثة فاحت رائحة نتنها، فلا تخلو الانحرافات الاجتماعية من طيّبين استثمروا فيها الكثير من وقتهم وجهدهم ومالهم وهواهم.

مع أهلنا الطيبين، الأكيد أنك مُطالب بأن تقيل لذوي المروءات عثراتهم، فلا تهتك لهم ستراً، ولا تشمت فيهم خصماً، ولكنك مُطالب أيضاً أن تكون ذا فطنة وفراسة، فلا تنطلي عليك مسرحيات المذنبين الطيبين، فهم يتسلقون على طيبتهم مع الجميع، واعتادوا الانطلاق منها إلى ما بعدها من حماقات وجنايات تطال محيطهم أيضاً، ثم يعودون راجين تفهمها منهم بدعوى سذاجتهم، ويكررون تلك الحلقة مع المزيد من ضحاياهم، فلا يتراجعون ولا حتى يتوقفون، بل فتنوا بطيبتهم المدعاة، واغتروا بها، فخدعوا أنفسهم ومحيطهم بها.

| وبالوالدين إحسانا |

86

العيد شعيرة من شعائر الإسلام التي يجب تعظيمها، ومن تعظيم العيد إبراز مظاهر خاصة به، تميّزه عن سائر الأيام بلبس الجديد والتوسعة على العيال بنحوٍ يُحبب إليهم هذه الشعيرة الربانية.

وإني هنا لأدعو الجميع إلى إحياء تلك الشعيرة بالكرم، والتودد إلى الأمهات والآباء والأطفال بالعطاء الخاص فيه، حتى وإن كان بعض الوالدين في غنى عن ذلك، فمجرد الإحسان إليهما بخصهم بشيء من العيدية لهما فيه إظهار للتواضع لهما، وإدخال للسرور إلى قلبيهما.

| سراب |

87

" أعلم أن انتظاري لك قرار خاطئ، ولكني مستمتعة بخطئي "
للأسف الشديد، هذا لسان حال بعض النساء حين يتورط قلبها بالتعلق بفاسق من أشباه الرجال.

إنما قصدت تنبيه مَن ابتليت بذلك من النساء؛ لمراجعة الأمر بواقعية، فلا منطق في الرهان على أشباه الرجال، فلا يوجد بين الرجال مَن يستحق حبس الزمان عنده.

بعض النساء تريد التغافل عن هذا الأمر، ولا تريد من يُنبهها؛ فيُفسد عليها لذة ما تعيشه من سكرة.

ونحن نعرف ذلك، وربما نُرجِّح أن لا تأخذ بتنبيهنا لها؛ ما دام مفعول السكرة عاملا بقلبها وروحها وعقلها.

ولكننا نفعل ذلك إما مُزايدة، أو تمضية للوقت؛ فلولا أن الكلام يُعاد لنفد، أو قياما بالواجب ورفعا للحرج عن أنفسنا، لأننا نحتمل أن تتهمنا بالتقصير عن إرشادها فيما لو تورطت بما يخرج عن سيطرتها، فيحصل أن ترمي المتورطةُ التهمَ على محيطها إذا ما حاصرتها أوجاع الحسرة والندم.

نحن نقرأ القرآن الكريم، ونستغرب كيف كانت الأقوام تكذّب المرسلين رغم كل البيّنات التي جاءوا بها لهم.

وإذا بواقعنا كله مشابه لما حصل معهم، فأغلبنا وقعت بيده كل البيّنات، ورغم ذلك ما زلنا نرتكب الخطايا، ونُصِّر عليها، وربما استثمرنا فيها المزيد من أوقاتنا وأموالنا وطاقاتنا، والعياذ بالله.

نسأل الله أن يُعيننا على أنفسنا، ويوفق لنا خاتمة حسنة، فيُرينا الباطل باطلا ويُجنبنا اتباعه، والحق حقا ويُوفقنا للزومه.

| المقدمات |

88

سيدتي ..إذا كنتِ تمارسين العلاقة الحميمة مباشرة مع زوجكِ لإرضائه، فلما لا تقومين بعمل المقدمات لإرضائه أيضا؟! وفألكِ مودة ورحمة وانسجاما واستقرارا وإشباعا.

تمت

بحمد الله وتوفيقه

قائمة المحتويات في الصفحة رقم ٦

معد النسخة الإلكترونية

محمد بن مبارك الشملان

قميص يوسف

قراءات اجتماعية معاصرة

■ اخترت لهذا الكتاب اسم: « قميص يوسف » وذلك أنه الاسم الذي اخترته كمعرّف لي في المنتديات الحوارية الإلكترونية سابقاً، وعُرفت به. وأيضاً للدلالات الكثيرة التي تحضر مع هذا المسمّى، والتي منها أن موضوعاتي ذات الطبيعة الاجتماعية عادة؛ لا تخلو من وسائل وبيّنات يُسترشد بها في كشف الأخطاء وملابساتها، واقتراح الحلول ومقوّماتها، وهو الدور الذي استعمِلَ فيه قميص نبي الله يوسف عليه السلام.

وتجدر الإشارة هنا، أن القناعات المنشورة في الموضوعات، لا يمكن فصلها عن توقيت نشرها الأصلي، فهي توثق آرائي في حينها، ولاحقاً ربما بعضها تعزّزت قناعتي بها وتجذّرت، أو ضعفتْ وانحسرتْ حماستي لها نسبياً، فقد كنت أرصد في كثير منها تجاذبات النفس البشرية المعقّدة وصراعها مع ما تأمله وتسعى له من جهة، ومع ما تحذره وتجتهد لحماية نفسها منه من جهة أخرى.